شَرْحُ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

«اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ»

دار اللباب

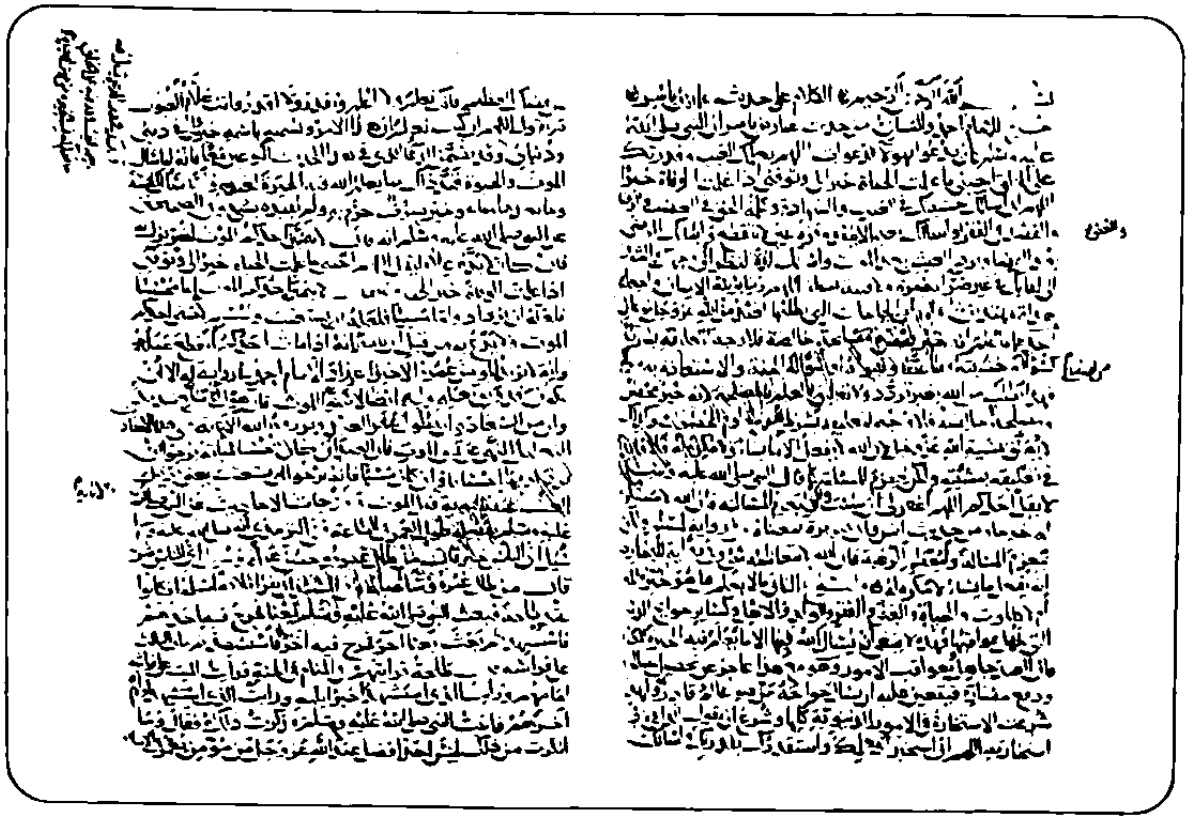

دار الكتب الوطنية بتونس (ت)

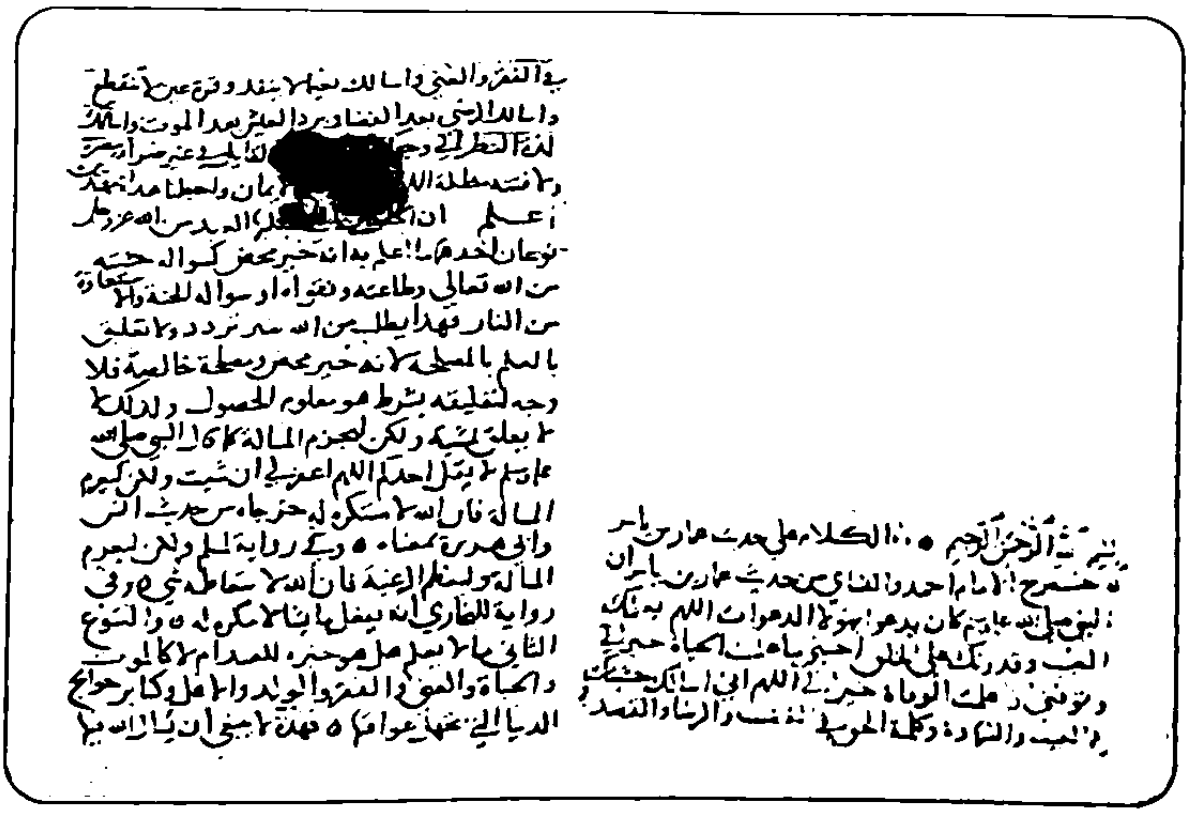

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)

مكتبة الرياض العامة (س)

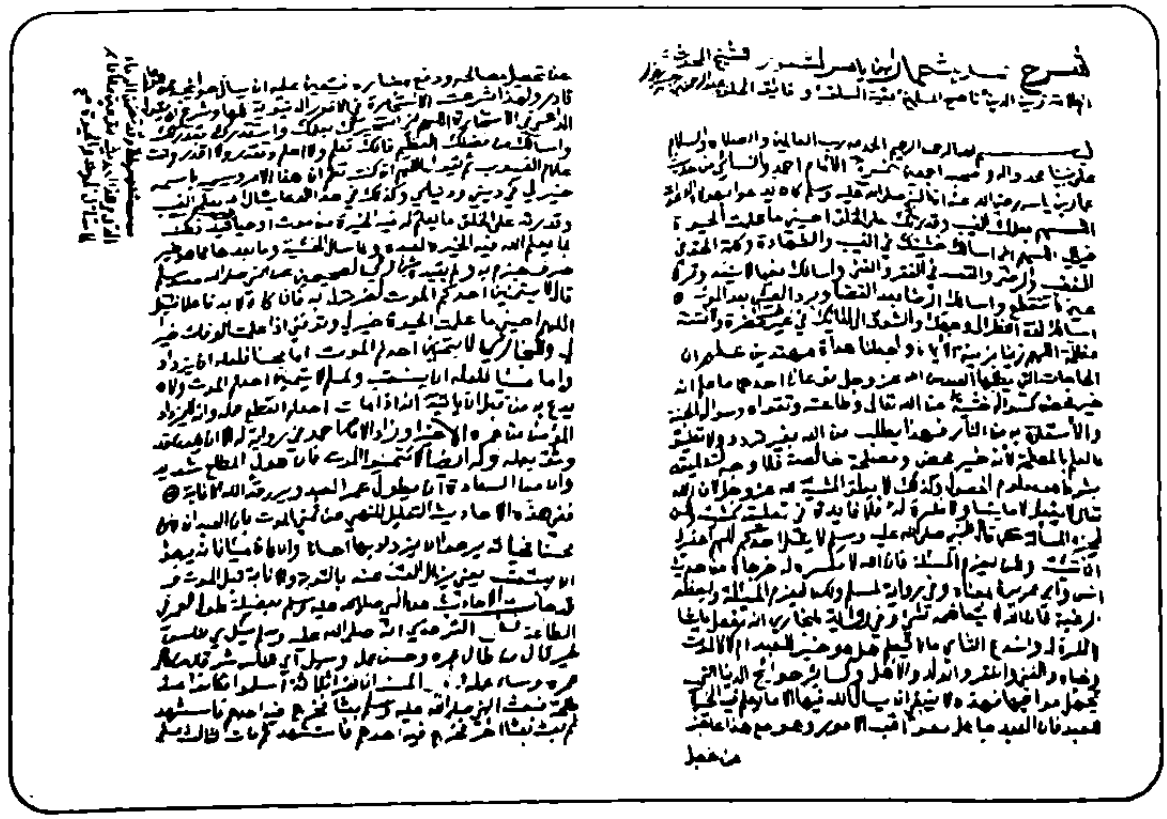

مكتبة جامعة الرياض (ر)

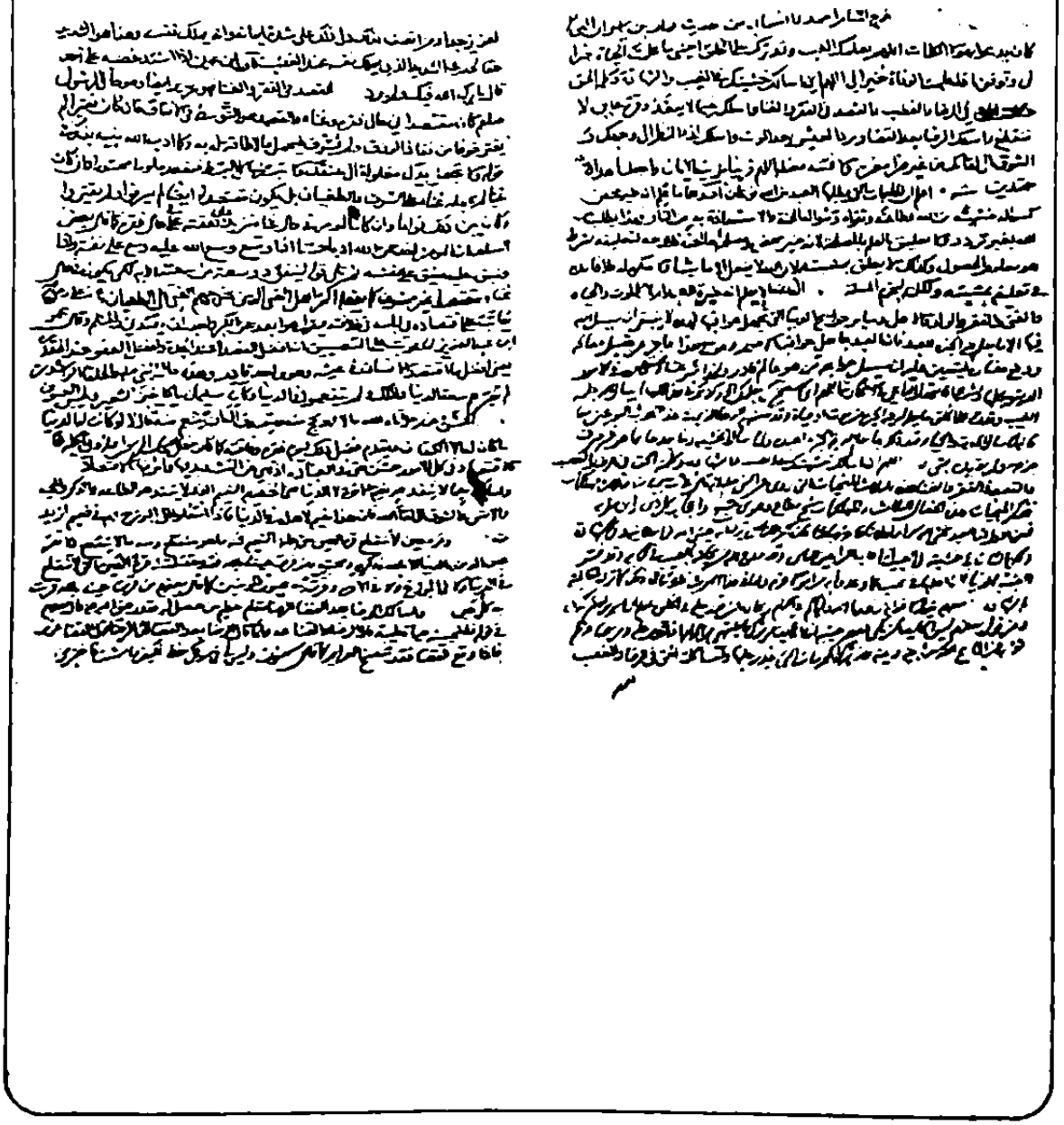

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله عالم الغيب والشهادة، المنعم على المؤمنين بالحسنى وزيادة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى التوحيد وحسن العبادة، وعلى آله وصحبه ذوي الشرف والسيادة، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم اللقاء في دار السعادة.

أما بعد:

فهذا الشرح للدعاء الذي تضمنه حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه هو صنو «شرح حديث زيد بن ثابت» و«شرح حديث شداد بن أوس»، وقد تضمنت هذه الأحاديث الشريفة جملاً من الأدعية الجامعة، فمعرفة معاني الدعاء معينة على حضور القلب فيه.

وقد استفتح الحافظ ابن رجب رحمه الله شرحه هذا ببيان نوعين للدعاء:

ـ فمنه دعاء العبد بخير محض، كسؤاله الخير في أمر دينه وآخرته، فهذا يجزمُ العبدُ بطلبه وسؤاله بدون تردد أو تعليق.

ـ ومنه دعاء العبد بما لا يعلم حقيقة الخير فيه من شؤون الدنيا وأحوالها التي تُجهل عواقبها، فهذا ينبغي للعبد أن يدعو الله تعالى بما يعلمُ سبحانه الخيرَ فيه.

وهذا مستفاد من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي تضمن النوعين، ففيه: «أحيني ما علمتَ الحياةَ خيراً لي»، وفيه «اللهم إني أسألك خشيتك».

فسأل الخير الذي يعلمه الله تعالى في الأول، وجزم بالدعاء في الثاني.

فلذلك لا ينبغي للعبد أن يدعو على نفسه بالموت لأنه لا يعلم وجه الخير فيه أو في الحياة.

وإذا كان العبد يتحرى في دعائه أن يطلب الخيرة من الله فيما لا يعلم العبدُ الخيرَ فيه، فمن باب أولى أن لا يدعو الإنسان بما يعلم الشر والسوء فيه.

كما قال الحق عز وجل ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] فيدعو الإنسان عند الغضب على نفسه بالموت أو الهلاك، أو يدعو على ولده بالشر واللعن، وهو نفسه عند رضاه يدعو لنفسه بما طال فيه أمله من الدنيا، ويدعو لولده وماله.

فلو استجيب للعبد في الشر كما يأمل أن يستجاب له في الخير لهلك، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١].

اللهم: إنا نسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

* * *

ذكر هذا الشرح للمصنف: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، وذكره الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٢٧٦)، والسفاريني في «شرح ثلاثيات الإمام أحمد» (١/ ٤٧٠)، ونقل منه أول كلامه في هذا الجزء، وذكره الكتاني في «فهرس الفهارس» (٢/ ٦٣٦).

* * *

واعتمدت في إخراجه على خمس نسخ خطية:

النسخة الأولى: النسخة التونسية، ورمزها (ت).

وهي في ضمن مجموع (١٥٧) وقد تقدم وصفه في المقدمات، وهي الرسالة الثالثة عشرة منه، وهي في (١٠) لوحات (من ١٣٣/ ب إلى ١٤٢/ أ) وفيها خرم نبهت عليه في موضعه في اللوحة (١٣٦) بين [أ] و[ب] منها.

لم يذكر اسم الناسخ. وإحدى رسائل المجموع نسخت سنة ٨٥٢.

النسخة الثانية: نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).

وهي في ضمن المجموع (٥٣١٨) وقد تقدم وصفه في المقدمات وهي الرسالة السابعة منه، وتقع في (١٩) لوحة، (من ١٢١/ أ إلى ١٣٩/ أ).

ناسخ المجموع: عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي في سنة ٨٩٣.

النسخة الثالثة: نسخة مكتبة الرياض العامة السعودية، ورمزها (س).

وهي في ضمن مجموع برقم (٥٢٧/ ٨٦) من وقف الشيخ محمد بن عبد اللطيف، وهي الرسالة الأولى منه، وهي ملفقة من نسختين بخطين مختلفين، وآخرها مكرر بين النسخة الأولى والثانية، وفيها أخطاء كثيرة، وتقع في (٨) لوحات من أول المجموع.

لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وهي من خطوط القرن الرابع عشر، فإحدى رسائل المجموع مؤرخة بـ١٣٣٣، وأخرى مؤرخة بـ ١٣٥٦.

النسخة الرابعة: نسخة مكتبة جامعة الرياض، ورمزها (ر).

وهي في ضمن مجموع برقم (١٨١٧)، وهي الرسالة الثانية منه، وتقع في (١١)

لوحة (من ١١/ أ إلى ٢١/ ب)، وهي بخط: عبد المحسن بن عبيد بن عبد المحسن في سنة ١٣٦١، وقد نقلها من خط أبي عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن سليم.

النسخة الخامسة: نسخة رئاسة الشؤون الدينية التركية، ورمزها (ك).

وهي في ضمن مجموع (١٩٢٠)، وهي مختصر للكتاب في صفحتين ونصف صفحة.

وثمة نسخة في جامعة ييل ـ لم نقابل بها ـ لتأخرها، فعليها قيد مقابلة مؤرخ برجب ١٢٥٥، وهي يمانية، (١٣) لوحة ضمن مجموع فيه رسائل لابن رجب وبعض الرسائل للشوكاني بخطه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

محمد مجير الخطيب الحسني

* * *

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الكلامُ على حديثِ عمَّارِ بنِ ياسرٍ

خرَّجَ الإمامُ أحمدُ والنَّسائيُّ مِن حديثِ عمَّارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يدعو بهؤلاءِ الدَّعواتِ[1]: «اللهمَّ بعِلمِكَ الغيبَ، وقُدرتِكَ على الخَلقِ، أحيِني ما علِمتَ الحياةَ خيراً لي، وتوفَّني إذا علِمتَ الوفاةَ خيراً لي، اللهمَّ إنِّي أسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشَّهادةِ، وكلمةَ الحقِّ في الغضَبِ والرِّضا[2]، والقصدَ في الفقرِ والغِنى، وأسألُك نعيماً لا ينفَدُ، وقُرَّةَ عينٍ لا تنقطِعُ، وأسألُكَ الرِّضا بعد القضا، وبردَ العيشِ بعد الموتِ، وأسألُك لذَّةَ النَّظرِ[3] إلى وَجهِك، والشَّوقَ إلى لقائِك، في[4] غيرِ ضَرَّاءَ مُضرَّةٍ ولا فِتنةٍ مُضِلَّةٍ، اللهمَّ زيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ، واجعلنا هُداةً مُهتدينَ»[5].

---

(١) في (ك): «الكلمات».

(٢) في (ك): «الرضا والغضب». وفي (س): «واسألك القصد».

(٣) في (س): «ولذة».

(٤) في (س) و(ك): «من»، وفي «مسند الإمام أحمد»: «وأعوذ بك».

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣٢٥)، والنسائي في «الصغرى» (١٣٠٥) (١٣٠٦)، وفي «الكبرى» (١٢٢٩) (١٢٣٠). وسبب رواية الحديث أن عماراً رضي الله عنه صلى بالقوم صلاة أخفها، فكأنهم أنكروها، قال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى. قال أما إني دعوت فيها بدعاء كان النبي ﷺ يدعو به.

اعلَم أنَّ الحاجاتِ التي يطلبُها العبدُ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ نوعان:

أحدُهما: ما عُلِمَ[١] **أنَّه خيرٌ محضٌ**، كسُؤالِه خشيتَه مِن اللهِ تعالى وطاعتَه وتقواه، أو سؤالِه الجنَّةَ، والاستعاذةَ به مِن النَّارِ، فهذا يُطلَبُ مِن اللهِ بغيرِ تردُّدٍ ولا تعليقٍ بالعلمِ بالمَصلحةِ، لأنَّه خيرٌ محضٌ ومصلحةٌ خالصةٌ، فلا وجهَ لتَعليقِه بشرطٍ هو معلومُ الحُصولِ، وكذلك لا يُعلَّقُ بمَشيئةِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ اللهَ لا يفعلُ إلَّا ما يشاءُ ولا مُكرِهَ له[٢]، فلا فائدةَ في تعليقِه بمشيئتِه، ولكن ليجزمِ المسألةَ كما قالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا يقُلْ أحدُكُم: اللهمَّ اغفِر لي إن شئتَ، ولكن ليَعزمِ المسألةَ، فإنَّ اللهَ لا مُستكرِهَ له» خرَّجاه مِن حديثِ أنسٍ[٣] وأبي هريرةَ[٤] بمَعناه.

وفي روايةٍ لِمُسلمٍ: «ولكن ليَعزمِ المسألةَ، وليُعظِّمِ الرَّغبةَ فإنَّ اللهَ لا يَتعاظَمُه شيءٌ»[٥].

وفي روايةٍ للبُخاريِّ: «إنَّه يفعلُ ما يشاءُ لا مُكرِهَ له»[٦].

النَّوعُ الثَّاني: ما لا يعلمُ هل هو خيرةٌ للعبدِ أم لا كالموتِ والحياةِ، والغِنى والفقرِ، والولَدِ والأهلِ، وكسائرِ حوائجِ الدُّنيا التي تُجهَلُ عواقِبُها، فهذه لا يَنبغي أن يُسأَلَ اللهُ فيها إلا مَا يَعلمُ فيه الخيرةَ للعبدِ فإنَّ العبدَ جاهلٌ بعواقبِ الأمورِ، وهو مع هذا عاجزٌ عن تحصيلِ مَصالحِه ودفعِ مَضارِّه، فيتعيَّنُ عليه أن يسألَ حوائجَه مَن

---

(١) في (ف): «أعلم به».

(٢) في (س): «لأن الله يفعل ما يشاء».

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٣٨)، ومسلم (٢٦٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٥) وهي من حديث أبي هريرة السابق ذكره.

(٦) من حديث أبي هريرة (٧٤٧٧).

هو عالمٌ قادرٌ، ولهذا شُرِعَتِ الاستخارةُ في الأمورِ الدُّنيويَّةِ كلِّها، وشرعَ أن يقولَ الدَّاعي في استخارتِه: «اللهمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعِلمِكَ، وأستَقدِرُكَ بقُدرَتِكَ، وأسألُكَ مِن فضلِكَ العَظيمِ، فإنَّك تعلَمُ ولا أعلَمُ، وتقدِرُ ولا أقدِرُ، وأنت علَّامُ الغُيوبِ، ثمَّ يقولَ: اللهمَّ إن كنتَ تعلَمُ أنَّ هذا الأمرَ ـ ويسمِّيه باسمِه ـ خيرٌ لي في دِيني ودُنيايَ...»[١] وكذلك في هذا الدُّعاءِ يسألُ اللهَ بعِلمِه الغيبَ وقُدرتِه على الخلقِ ما يَعلمُ له فيه الخيرةَ مِن موتٍ أو حياةٍ.

وقد تضمَّنَ الدُّعاءُ الذي في هذا الحديثِ النَّوعينِ معاً؛ فإنَّه لَمَّا سألَ الموتَ والحياةَ قيَّدَ ذلك بما يعلمُ اللهُ فيه الخِيرةَ لعبدِه، ولَمَّا سألَ الخشيَةَ وما بعدَها ممَّا هو خيرٌ صِرفٌ جَزَم بهِ ولم يُقيِّدْه بشيءٍ.

وفي «الصَّحيحينِ»، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لا يتمنَّينَّ أحدُكمُ الموتَ لضرٍّ نزلَ به، فإن كان لا بدَّ فاعلاً فليَقُل: اللهمَّ أحيِني ما علمتَ الحياةَ خَيْراً لي، وتوفَّني إذا علمتَ الوفاةَ خَيْراً لي»[٢].

وللبُخاريِّ: «لا يتمنَّينَّ[٣] أحدُكم الموتَ؛ إمَّا محسِناً فلعلَّه أن يزدادَ، وإمَّا مُسِيئاً فلعلَّه أن يستعتِبَ»[٤].

ولِمسلِمٍ: «لا يتمنَّى أحدُكم الموتَ، ولا يدعُ به مِن قبلِ أن يأتيَهُ، إنَّه إذا ماتَ أحدُكم انقطَعَ عملُه، وإنَّه لا يزيدُ المؤمنَ عمرُه إلا خيراً»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع (١١٦٢) (٦٣٨٢) (٧٣٩٠) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧١) ومسلم (٢٦٨٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

وفي النسخة (س): «إذا علمت الحياة».

(٣) في (س): «يتمنى».

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) (٧٢٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) مسلم (٢٦٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وزادَ الإمامُ أحمدُ في روايةٍ له: «إلا أن يكونَ قد وثِقَ بعمَلِه»[١].

وله أيضاً: «لا تتمَنَّوا[٢] الموتَ؛ فإنَّ هولَ المطلعِ شديدٌ، وإنَّ مِن السَّعادةِ أن يطولَ عمرُ العبدِ ويرزقَهُ اللهُ الإنابةَ»[٣].

ففي هذه الأحاديثِ التَّعليلُ للنَّهي عن تمنِّي الموتِ؛ فإنَّ العبدَ إن كان مُحسِناً فحياتُه يرجو أن يزدادَ بها[٤] إحساناً، وإن كان مُسيئاً فإنَّه يرجو أن يستعتِبَ، يعني: يُزيلَ العتبَ عنه بالتَّوبةِ والإنابةِ قبل الموتِ.

وقد جاءتِ الأحاديثُ عن النَّبيِّ ﷺ بفضيلةِ طولِ العمرِ في الطَّاعةِ.

ففي التِّرمذيِّ أنَّه ﷺ سُئِلَ: أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قال: «مَن طالَ عمُرُه، وحَسُنَ عملُه»، وسُئِلَ: أيُّ النَّاسِ شرٌّ؟ قالَ: «مَن طالَ عمُرُه، وساءَ عمَلُه»[٥].

وفي «المسنَدِ»: إنَّ نفَراً ثلاثةً أسلَموا، فكانوا عند طلحةَ، فبعثَ النَّبيُّ ﷺ بعثاً فخرجَ فيه أحدُهم فاستُشهِدَ، ثمَّ بعثَ بَعْثاً آخرَ فخرجَ فيه آخرُ فاستُشهِدَ، ثمَّ مات الثَّالثُ على فراشِه، قال طلحةُ: فرأيتُهم في المنامِ في الجنَّةِ، فرأيتُ الميِّتَ على فراشِه أمامَهم، ورأيتُ الذي استشهِدَ أخيراً يليهِ، ورأيتُ الذي استشهِدَ أولهم آخرَهُم، قال: فأتيتُ النَّبيَّ ﷺ فذكرتُ ذلك له، فقالَ: «وما أنكرتَ مِن ذلك؟ ليس أحدٌ أفضلَ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ مِن مؤمنٍ يُعمَّرُ في الإسلامِ لتَسبيحِه وتكبيرِه وتهليلِه»[٦].

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٨٦٠٧).

(٢) في (س): «تمنوا».

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١٤٥٦٤).

(٤) في (ف): «فيها».

(٥) أخرجه الترمذي (٢٣٣٠) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وقال: حسن صحيح.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (١٤٠١) من حديث عبد الله بن شداد.

وفي روايةٍ: «أليس قد مكثَ هذا بعدَه سنةً؟ قالوا: بلى، قالَ: وأدركَ رمضانَ فصامَه؟ قالوا: بلى، قالَ: وصلَّى كذا وكذا سجدةً في السَّنةِ؟ قالوا: بلى، قال: فلَمَا بينَهما أبعدُ ما[1] بين السَّماءِ والأرضِ»[2].

قيلَ لبعضِ السَّلَفِ: طابَ الموتُ، فقالَ: يا ابنَ أخي! لا تفعَلْ، لَساعةٌ تعيشُ فيها تستغفرُ اللهَ خيرٌ لك مِن موتِ الدَّهرِ[3].

وقيلَ لشيخٍ كبيرٍ منهم: تحبُّ الموتَ[4]؟، فقال: لا، قد ذهبَ الشَّبابُ وشرُّه، وجاءَ الكِبَرُ وخيرُه، فإذا قمتُ قلتُ: بسمِ اللهِ، وإذا قعدتُ قلتُ: الحمدُ اللهِ، فأنا أحبُّ أن يبقى لي هذا[5].

وقيل لشيخٍ آخرَ: ما بقِيَ منك ممَّا تحبُّ له الحياةَ؟ قال: البكاءُ على الذُّنوبِ[6].

ولهذا كان كثيرٌ مِن السَّلَفِ يبكي عند موتِه تأسُّفاً على انقطاعِ أعمالِه الصَّالحةِ[7].

---

(١) في (ت): «مما».

(٢) أخرجها الإمام أحمد (١٤٠٣)، وابن ماجه (٣٩٢٥) من حديث طلحة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (٢٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٥/ ١١٦). قاله عراك بن خالد لمحمد بن كامل العبسي.

(٤) في (س): «أتحب الموت»، وفي حاشية (ف): «فضل طول العمر».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (٢٩)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٠٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٨/ ١٧٤).

والسائل هو: سليمان بن عبد الملك.

وفي حاشية (ف): «مدة مديدة».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (٢٨).

وفي حاشية (ف): «والمناجاة إلى علَّام الغيوب وهو ستار العيوب».

(٧) أورد جملة من ذلك ابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٢١٧).

وكان يزيدُ الرَّقاشيُّ يقولُ عند موتِه: يا يزيدُ! مَن يصلِّي لك بعدَك؟ ومن يصومُ، ومَن يتوبُ لك مِن الذُّنوبِ السَّالفةِ[١]؟.

ولهذا يتحسَّرُ الموتى على انقطاعِ أعمالِهم الصَّالحةِ[٢].

ففي التِّرمذيِّ، عن النَّبيِّ ﷺ: «ما أحدٌ يموتُ إلَّا ندِمَ، إن كان مُحسِناً أن لا يكونَ ازدادَ، وإن كان مُسِيئاً أن لا يكونَ استعتبَ»[٣].

ورُئِيَ بعضُ الموتى مِن السَّلَفِ في المنامِ[٤] فسُئِلَ عن حالِه فقال: قدمْنا[٥] على أمرٍ عظيمٍ، نعلَمُ ولا نعمَلُ، وتعملونَ ولا تعلَمُونَ، واللهِ لَتسبيحةٌ أو تسبيحتانِ أو ركعةٌ أو ركعتانِ في نسخةِ عمَلِي أحبُّ إليَّ مِن الدُّنيا وما فيها[٦].

وصلَّى بعضُ السَّلَفِ ركعتينِ خفيفتَينِ بقُربٍ مِن المقابرِ ولم يرضَهُما لتَخفيفِهما[٧] ثمَّ غلبَتْه عينُه فرأى صاحبَ القبرِ الذي هو بقُربِه يقولُ له: صلَّيتَ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٩١)، و«الرقة والبكاء» (٢٤٨).

وفي حاشية (ف): «ومن يذكر الله تعالى بلسانك».

(٢) في حاشية (ف): «فهي جاه عظيم كثير الفائدة جداً. فافهم ترشد».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٠٣)، ولفظه: «ندم أن لا يكون نزع».

وفي حاشية (ف): «استعتب: أي أتوب».

(٤) في (ت) و(ف): «منامه». والمثبت من (س).

(٥) في (ت): «قد قدمنا».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٨٦).

وفي (س): «صحيفة عملي».

وفي حاشية (ف): «من أعظم المهمات، فافهم واعمل».

(٧) في (س): «وصلى بعضهم إلى جانب قبر ركعتين خفيفتين لم يرضهما».

ركعتيـنِ ولـم ترضَهما؟ قـال: نعم، قـال: لأن يكونَ لـي[١] مثلُ ركعتيـكَ أحبُّ إليَّ مِن الدُّنيـا بحذافيرِها[٢].

وأمَّا الرِّوايةُ التي في «المسندِ»: «لا يتمنَّى أحدُكم الموتَ إلَّا مَن وثقَ بعملِه»[٣]، فيدلُّ على أنَّ مَن له عمَلٌ صالحٌ يثِقُ به فإنَّ له أن يتمنَّى الموتَ.

وكان كثيرٌ مِن السَّلَفِ يتمنَّى الموتَ، وهم أقسامٌ:

منهـم مَـن يحمِلُه حُسـنُ الظَّنِّ بـاللهِ على حـبِّ لقائِه إمَّـا لِمَا عندهـم[٤] مِن كثرةِ الطَّاعـاتِ، أو لِمَـا عنـدَه مِـن محبَّـةِ اللهِ عـزَّ وجـلَّ، فيُحسِـنُ ظنَّه بـه، كما قـالَ بعضُ السَّـلفِ: لقـد سئِمتُ مِـن الحيـاةِ حتَّـى لو وجـدتُ المـوتَ يُبـاعُ لاشـتريتُه شَـوْقاً إلـى اللهِ وحُبًّـا للِقائِـه، فقيـلَ لـه: أفعَلَى ثقةٍ أنـت مِن عملِـك؟ قال: لا، ولكـن لحُبِّي إيَّـاه، وحُسـنِ ظنِّي بـهِ، أفتـراهُ يُعذِّبُني وأنـا أحبُّه[٥]؟

وكان بعضُهم يُنشِدُ في هذا المعنى:

وزادي قليـلٌ مـا أراهُ مُبلِّغـي ... أللزَّادِ أبكـي أم لطُـولِ مَسـافَتي

أتُحرِقُنـي بالنَّـارِ يـا غايـةَ المُـنى ... فأين رجائِـي فيـك أيـنَ محبَّتـي[٦]

---

(١) «لي» سقطت من (ت) و(ف).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا، ومن طريقه: البيهقي في «الشعب» (٩٧١١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٣٣٠). والمصلي هو: مطرف بن عبد الله بن الشخير.

وروى ابن عبد البر في «التمهيد» (١٣/ ٧٩ طبعة بشار) نحوه عن رجل آخر.

(٣) سبق تخريجه قبل ثلاث صفحات.

(٤) في (س): «له».

(٥) ذكره الغزالي في «الإحياء» في آخر كتاب المحبة (٤/ ٣٦١) من كلام امرأة من المتعبدات.

(٦) في (س): «أين مخافتي» وهو كذلك في المصادر. =

ومنهم مَن يتمنَّى الموتَ شوقاً إلى لقاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وسنذكرُ أخبارَهم في الكلامِ على آخرِ الحديثِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

وتمنِّي الموتِ له أحوالٌ:

تارةً يتمنَّى الموتَ لضرٍّ نزلَ به، وهذا منهيٌّ عنه، وصاحبُه إذا لم يثِق بعمَلِه كالمستجيرِ مِن الرَّمضاءِ بالنَّارِ، لأنَّه[1] لا يَدرِي لعلَّه يهجمُ[2] بعدَ الموتِ على ما هو أعظَمُ وأشَدُّ ممَّا هو فيه، فإن وثقَ بعملِه فقد تمنَّاه للضُّرِّ[3] بعضُ السَّلفِ.

وتارةً يتمنَّاه خشيةَ فتنةٍ في الدِّينِ: فهذا جائزٌ عند أكثرِ العُلَماءِ، وقد تمنَّاه عمَرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنه في آخرِ حجَّةٍ حجَّها، فإنَّه قالَ: اللهمَّ إنَّه قد كبِرَت سنِّي، ورَقَّ عَظمي، وانتشرَت رعيَّتي، فاقبِضْني إليك غيرَ مُضيِّعٍ ولا مفتونٍ. فقُتِلَ في ذلك الشَّهرِ[4].

وتمنَّته زينبُ بنتُ جحشٍ رضيَ اللهُ عنها لَمَّا جاءَها عطاءُ عمرَ، فاستكثرَتْه وقالت: اللهمَّ لا يُدرِكني عطاءٌ لعمرَ بعدَها، فماتَت قبلَ أن يُدرِكَها عطاءٌ ثانٍ لعُمرَ[5].

= أنشده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٥٩). عن الأصمعي، للحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام. وأنشده كذلك (٦٩/ ١١٨) لرابعة بنت إسماعيل، وهي الشامية.

(١) في (ف): «ولأنه».

(٢) في (ف): «لا يهجم»، وفي (س): «إذاً يهجم».

(٣) في (ف): «للضرر» وسقطت من (س).

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢٤٧٤)، وابن أبي الدنيا في «مجابي الدعوة» (٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٥٤).

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٠/ ١٠٦).

وسألَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ مَن ظنَّ به إجابةَ الدُّعاءِ، أن يَدعُوَ له بالموتِ لَمَّا ثقُلَت عليه الرَّعِيَّةُ، وخشِيَ العجزَ عنِ القيامِ بحُقوقِهم[١].

وطُلِبَ كثيرٌ مِن السَّلفِ إلى بعضِ الولاياتِ فدَعَوا لأنفُسِهم بالموتِ فماتوا[٢].

واشتهر بعضُهم واطُّلِعَ على بعضِ أحوالِه مع اللهِ فدَعا لنفسِه بالموتِ فماتَ.

وفي الحديثِ: «وإذا أردتَ بقومٍ فتنةً فاقبِضْني إليك غيرَ مَفتونٍ»[٣].

وفي «المسندِ»، عن محمودِ بنِ لَبيد، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «اثنتان يكرهُهما ابنُ آدمَ: الموتُ والموتُ خيرٌ للمؤمنِ مِن الفتنةِ، ويكرهُ قلَّةَ المالِ وقلَّةُ المالِ أقلُّ للحساب»[٤].

وقال ابنُ مَسعودٍ وغيرُه: ما مِن بَرٍّ ولا فاجرٍ إلَّا والموتُ خيرٌ له، إن كان بَرًّا فما عندَ اللهِ خيرٌ للأبرارِ، وإن كان فاجِراً فإنَّما نُملِي لهم ليَزدادوا إثماً[٥].

وتارةً يتمنَّاهُ مِن غيرِ ضرٍّ ولا فتنةٍ، فإن كان ممَّنْ وثق بعملِه حبًّا للهِ وشوقاً إلى لقائِه جازَ، وسنذكرُه فيما بعدُ إن شاءَ اللهُ تعالى.

---

(١) وهو الرجل الصالح عبد الله بن أبي زكريا. والخبر في «سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن عبد الحكم المصري (ص: ٩٩).

(٢) ومنهم الإمام الجليل قاسم بن ثابت السرقسطي الأندلسي.
انظر: «بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» للضبي (١٣٠٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦١٢)، وأحمد (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ويروى من حديث غيره من الصحابة.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٦٢٥).

(٥) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٧١٤) والاقتباس فيه من سورة آل عمران. الآية ١٩٨ والآية ١٧٨.

وكذلك تمنِّيه عند حضورِ أسبابِ الشَّهادةِ اغتناماً لها، كتمنِّيهِ عند حضورِ القتالِ في سبيلِ اللهِ أو الطَّاعونِ.

فإن كان إحساناً للظَّنِّ به ففيه اختلافٌ بين السَّلَفِ.

وقد وردَ تعليلُ النَّهيِ عن تمنِّي الموتِ بأنَّ هولَ المطلعِ شديدٌ، فتمنِّيه مِن نوعِ تمنِّي وُقوعِ البلاءِ قبلَ نُزولِه، ولا ينبغي ذلك[١] كما قالَ [ﷺ]: «لا تتمنَّوا لقاءَ العدوِّ، ولكن سَلُوا اللهَ العافيةَ، فإذا لقيتُموهم فاثبُتوا»[٢].

وسمعَ ابنُ عمرَ رجُلاً يتمنَّى الموتَ، فقال: لا تتمنَّ الموتَ فإنَّكَ ميِّتٌ، ولكن سلِ اللهَ العافيةَ[٣].

فإنَّ الميتَ يُكشَفُ له عن هولٍ عظيمٍ هو هول المُطَّلعِ، ويرى عالماً آخرَ لا عهدَ له به، فلا يَنبغي للإنسانِ أن يستعجِلَ ذلك.

وقد قالَ عمرُ عند موتِه: لو أنَّ لي ما في الأرضِ لافتديتُ به مِن هولِ المُطَّلَعِ[٤].

وجزعَ الحسنُ بنُ عليٍّ عند موتِه، وقال: إنِّي أريدُ أن أشرِفَ على ما لم أُشرِف عليه قطُّ[٥].

---

(١) في (س): «ولا ينبغي تمنيه في ذلك».

(٢) أخرجه الدارمي (٢٤٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرج البخاري (٢٩٦٦) ومسلم (١٧٤٢) نحوه من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وفيه: «فإذا لقيتموهم فاصبروا».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٧٦)، وابن أبي الدنيا في «المتمنين» (١٠٨).
وفي حاشية (ف): «والسؤال إظهار عجز وذلة من العبد لسيده ومولاه».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٦٣٥)، وابن حبان (٦٨٩١)، والحاكم (٣/ ٩٢).
وفي (ت) و(ف): «لو كان»، والمثبت من (س).

(٥) أخرج عنه نحو هذا المعنى بإسناد معضل. أبو الحسين الكلابي في «أحاديثه» خ (٤٩). وأخرجه أيضاً بسند آخر: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٢٨٦) بنحوه.

وكان الحسنُ البصريُّ يقولُ عند موتِه: نُفَيْسَةٌ ضعيفةٌ، وأمرُ هولٍ عظيمٍ، فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعونَ[١].

وجزعَ حبيبٌ أبو محمَّدٍ عند موتِه وجعلَ يقولُ: إنِّي أريدُ أن أسافرَ سفَراً ما سافَرْتُه قطُّ!، أريدُ أن أسلكَ طَريقاً ما سلكتُه قطُّ!، أريدُ أن أزورَ سيِّدي ومولايَ وما رأيته قطُّ!، أريدُ أن أشرفَ على أهوالٍ ما شاهدتُ مِثلَها قطُّ[٢]!.

وأيضاً فالموتُ نفسُه أشدُّ ما يلقاه الآدميُّ في الدُّنيا، ولا يعلمُ النَّاسُ في الدُّنيا حقيقةَ شدَّتِه.

قال بعضُ السَّلَفِ: لو أنَّ ميتاً نُشِرَ فأخبرَ أهلَ الدُّنيا بحقيقةِ الموتِ ما انتفَعوا بعيشٍ ولا استلَذُّوا بنَومٍ[٣].

ولقد كان كثيرٌ مِن الصَّالحين يتمنَّى الموتَ في صحَّتِه، فلمَّا نزلَ به كرِهَه لشدَّتِه، ومنهم: أبو الدَّرداءِ[٤] وسفيانُ الثَّوريُّ[٥]، فما الظَّنُّ بغيرِهما؟!

وكان بعضُ الصَّالحينَ يتمنَّى الموتَ، فرأى في منامِه قائلاً يقولُ له: أتتمنَّى الموتَ؟ قال: قد كان ذاك[٦] فقطَّبَ في وجهِه، ثمَّ قال: لو عرفتَ شدَّةَ الموتِ وكربَه

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٥٨)، وفي المطبوع منه: «وأمرٌ هَؤُول عظيمٌ».

(٢) حبيب هو الفارسي العجمي، أخرجه عنه الدينوري في «المجالسة» (١٥٩٤)، وأبو نعيم مختصراً في «الحلية» (٦/ ١٥٤).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٤١٦) من كلام شداد بن أوس رضي الله عنه.
وقدم ناسخ (س) هنا خبرين سيأتيا.

(٤) انظر: كتاب «المحتضرين» لابن أبي الدنيا (١٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ١٩٦).

(٥) هو في مسند «ابن الجعد» (١٧٩٨).

(٦) في (ف): «إنَّ ذاك».

حتى يخالطَ قلبكَ معرفتُه لطارَ نومُك أيَّامَ حياتِك، ولذهلَ عقلُك حتَّى تمشيَ في النَّاسِ والِهاً، فكان إذا ذكرَ منامَه هذا بكى، وقالَ: طوبى لِمَن نفعَه عيشُه، وكان طولُ عمرِه زيادةً في عملِه، واللهِ ما أُراني كذلك[١].

قال إبراهيمُ بنُ أدهمَ: إنَّ للموتِ كأسًا لا يقوَى على تجرُّعِها إلَّا خائفٌ وجِلٌ طائعٌ كان يتوقَّعُها[٢]، ولأبي العتاهيةِ:

ألَا للمَـــوتِ كـــأسٌ أيُّ كـاسِ ... وأنـــتَ لـكـــأسِه لابدَّ حاسِـــي

إلـــى كـــم والممَـــاتُ إلـــى قَـريـبٍ ... تُـــذكِّرُ بالممـــاتِ وأنـــت ناسِـــي[٣]

وفي الجملةِ، فينبغي للمؤمنِ أن يكونَ طولُ عمرِه زيادةً في عملِه.

كما في[٤] «صحيح مسلم»[٥] عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان يدعو: «واجعل الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خيرٍ»[٦].

قال بعضُهم: مَن لا خيرَ له في الموتِ لا خيرَ له في الحياةِ[٧]. يعني مَن لا تكونُ حياتُه زيادةً في حسناتِه فلا خيرَ له في الموتِ ولا في الحياةِ.

---

(١) الرائي هو عطاء السَّليمي رحمه الله.

أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٣٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٢٣).

وفي (س): «لو رأيت شدة الموت».

(٢) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٥٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٣١).

(٣) ديوان أبي العتاهية (ص: ١٣٠) وفيه: «والمعاد إلى قريب» «تذكر بالمعاد».

(٤) في (ف) و(س): «وفي».

(٥) هنا يبدأ خرم في (ت) مقدار ورقتين.

(٦) أخرجه مسلم (٢٧٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) عزاه السيوطي في «شرح الصدور» (ص: ٢٢) إلى أبي الدنيا من كلام جعفر الأحمر.

وقد رأى بعضُهم النَّبيَّ ﷺ في منامِه، فقالَ له: «مَنِ استوَى يوماه فهوَ مَغبونٌ، ومَن كان يومُه شرًّا مِن أمسِه فهو مَلعونٌ، ومَن لم يتفقَّدِ الزِّيادةَ في عمَلِه فهو في نقصانٍ، ومَن كان في نقصانٍ فالموتُ خيرٌ له»[١].

وإنَّما كان الموتُ خيراً للعاصي، لأنَّه كلَّما طالَ عمرُه زادَتْ ذنوبُه فزادَ عِقابُه، وهذا كما قالَ ابنُ مسعودٍ: إن كانَ مُسيئاً، فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨][٢].

وكان بعضُ الصَّالحينَ يقولُ: قد سَئِمْنا مِن الحياةِ لكَثرةِ ما نقترِفُ مِن الذُّنوبِ[٣].

هذا مع كثرةِ أعمالِهم الصَّالحةِ، فكيف يقولُ مَن عمرُه كلُّه ضائعٌ؟

صفوةُ لذَّاتٍ أثمرَتْ لي كدَرِي ... كمْ قد أبصرتُ ما يغطي بصَري

ما لي زادٌ وقد تدانى سفَرِي ... قد ضاعَ العمرُ فأنَّى ليَ عمُرِي[٤]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٤٣)، والرائي شيخ من بني سليم. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٥) والرائي: الحسن البصري. وأخرجه الخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (١٩٦) والرائي رجل مبهم، وذكره السبكي في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٣٧٦) في الأحاديث التي لم يجد لها إسناداً وذكرها الغزالي في «الإحياء» وعزاه للبيهقي في «الزهد الكبير»، والرائي: عبد العزيز بن أبي رواد.

(٢) سبق تخريجه قبل قليل. وهذا الأثر والذي يليه والشعر قدمها ناسخ (س) كما سبق ذكره.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (١٠٢) من كلام داود الطائي.

وفي (س): «بعض السلف».

(٤) لم أجد هذه الأبيات عند غير المصنف رحمه الله، والمثبت من (ر). وفي (ف): «صفوة اللذات» «قد ضاع فإنه يوالي عمري»، وفي (س):

«صفو اللذات إن أثمرت لي كدري ... كم أبصرت ما يعطي بصري

زادي قليل قد تدانى سفري ... عمري ضاع فاندبوا لي عمري».

قال ميمونُ بنُ مِهران: لا خيرَ في الحياةِ إلَّا لتائبٍ أو لرجُلٍ يعمَلُ في الدَّرجاتِ[١].

يعني أنَّ التَّائبَ يمْحو بتوبتِه ما سلفَ مِن السَّيِّئاتِ، والعاملَ في الدَّرجاتِ تعلو درجاتُه بما يعملُ مِن الحسناتِ، فهذا يزيدُ حسناتِه، والأوَّلُ يمحو سيِّئاتِه، فما عدا هذينِ الرَّجُلينِ فلا خيرَ لهما في الحياةِ، ولهذا يُقالُ: بقيَّةُ عمرِ المُؤمنِ لا قيمةَ له، يتوبُ فيه مِن السَّيِّئاتِ، ويستدرِكُ فيه ما فاتَ[٢].

رُفِعَ إلى بعضِ العارفين رُقعةٌ في منامِه فإذا فيها مكتوبٌ:

فإن كنتَ لا ترتابُ أنَّكَ ميِّتٌ ... ولستَ لبَعدِ الموتِ ما أنتَ تعمَلُ

فعمرُكَ ما يُغني وأنتَ مُفرِّطٌ ... وإسمُكَ في الموتى معَدٌّ محصَّلُ[٣]

ورأى آخرُ في منامِه كأنَّ قائلًا يُنشِدُه:

يا خدُّ إنَّكَ إنْ تُوسَّدْ ليِّنًا ... وُسِّدتَ بعدَ الموتِ صُمَّ الجَنْدلِ

فاعمَلْ لنفسِكَ في حَياتِكَ صالِحاً ... فلَتندمَنَّ غداً إذا لم تفعَلِ[٤]

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٨٣).

(٢) «لا قيمة له» يعني أن قيمته عالية جداً لا تقدر بثمن أبداً. وعزاه ابن قدامة في «المغني» (١٤/ ١٩٢) إلى عمر رضي الله عنه.

(٣) أنشده ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٥٢).

(٤) في (س): «لم تعمل». أنشده ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٤٤) وفي مطبوعه: «يا حبيب». ونسبه المبرد في «التعازي والمراثي» (ص: ٢٨٨) إلى أسماء بن خارجة الفزاري.
وهو كما هنا.

قولُه ﷺ: «اللهمَّ إني أسألُكَ خشيتكَ في الغيبِ والشَّهادةِ، وكلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرِّضَا، والقصدَ في الفقرِ والغِنى»:

هذه الثَّلاثُ المُنجِياتُ التي رُوِيَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «ثلاثٌ مُنجِياتٌ وثلاثٌ مُهلِكاتٌ»، فذكرَ المُنجِياتِ هذه الخصالَ الثَّلاثَ، والمهلكات: «شحٌّ مُطاعٌ، وهوًى مُتَّبعٌ، وإعجابُ كلِّ ذي رأيٍ برَأيِه»[١].

ورُوِيَ أنَّ سُليمانَ عليهِ السَّلامُ قال: أوتينا ممَّا أوتيَ النَّاسُ وممَّا لم يُؤتَوا، وعُلِّمْنا ممَّا عُلِّمَ النَّاسُ وممَّا لم يُعلَّمُوا، فلم نجِد شَيئاً أفضلَ مِن هذه الثَّلاثِ خصالٍ[٢].

وقال نافعُ بنُ سليمانَ: قال عيسى بنُ مريمَ عليهِ السَّلامُ: ثلاثٌ مَن كنَّ فيه بلغَ ما بلغتُ: تقوَى اللهِ في السِّرِّ والعَلانيةِ، والعدلُ في الغضبِ والرِّضا، والقصدُ في الغِنى والفقرِ[٣].

فأمَّا خشيةُ اللهِ في الغيبِ والشَّهادةِ: فالمعني بها[٤] أنَّ العبدَ يَخْشى اللهَ سِرًّا وإعلاناً[٥] وظاهِراً وباطنًا؛ فإنَّ أكثرَ النَّاسِ يُرى أنَّه يخشى اللهَ في العلانيةِ وفي الشَّهادةِ، ولكنَّ الشَّأنَ في خشيتِه في الغيبِ إذا غابَ عن أعيُنِ النَّاسِ، وقد مدحَ اللهُ مَن يخافُه

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٥٩٩)، والإمام أحمد في «الزهد» (٢١٤)، وابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (٣٢٧) وفي «العقوبات» (١٩٩).

(٣) لم أجد هذا الأثر إلا عند المصنف رحمه الله.

(٤) في (ف): «فالمعنى بها».

(٥) في (س): «وعلانية».

بالغيبِ، قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، وقالَ: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [المائدة: ٩٤]، وقالَ: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣]، وقالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

وقد فُسِّرَ الغيبُ في هذه الآياتِ بالدُّنيا؛ لأنَّ أهلَها في غيبٍ عمَّا وُعِدُوا بهِ مِن أمرِ الآخرةِ[١]، وأمَّا في هذا الحديثِ فلا يتأتَّى ذلك كما ترى لِمُقابلتِه بالشَّهادةِ.

كان بعضُ السَّلَفِ يقولُ لإخوانِه: زهَّدَنا اللهُ وإيَّاكم في الحرامِ، زهادةَ مَن قدرَ عليه في الخلوةِ فعلمَ أنَّ اللهَ يراهُ فترَكَه[٢].

ومِن هذا قولُ بعضِهم: ليس الخائفُ مَن بكَى وعصرَ عينيهِ؛ إنَّما الخائفُ مَن تركَ ما يَشتهي مِن الحرامِ إذا قدرَ عليه[٣].

ومن هنا عظُمَ ثوابُ مَن أطاعَ اللهَ سِرًّا بينه وبينَه، ومَن تركَ المحرَّماتِ التي يقدِرُ عليها سرًّا.

فأمَّا الأوَّلُ: فمثلُ قولِه تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ إلى قولِه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٦ ـ ١٧].

---

(١) في (س): «وعدوا به في الآخرة». وفي «تفسير الطبري» (٢١/ ٤٥٣) في تفسير ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: «من خاف الله في الدنيا من قبل أن يلقاه، فأطاعه واتبع أمره».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٣٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٠٣) من كلام بكر بن عبد الله المزني رحمه الله.

(٣) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (١٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ٢٠٦) بنحوه من كلام إسحاق بن خلف رحمه الله.

وفي (س): «ما اشتهى».

قال بعضُ السَّلَفِ: أخفَوْا للهِ العملَ فأخفَى لهم الجزاءَ[١].

وفي حديثِ السَّبعةِ الذين يُظِلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظِلّه: «رجلٌ ذكرَ اللهَ خالِياً ففاضَت عيناه، ورجلٌ تصدَّقَ بصدَقةٍ فأخفاها حتَّى لا تعلمَ شمالُه ما تُنفِقُ يمينُه»[٢].

وفي الحديثِ: «إذا صلَّى العبدُ في العلانِيةِ فأحسنَ، وصلَّى في السِّرِّ فأحسنَ قالَ اللهُ: هذا عبدي حَقًّا»[٣].

وفي حديثٍ آخرَ: «مَن أحسَنَ صلاتَه حيثُ يراهُ النَّاسُ، وأساءَها حيثُ لا يراهُ أحدٌ فتلك استهانةٌ يستهينُ العبدُ بها ربَّه»[٤].

وأمَّا الثَّاني: فمثلُ قولِه ﷺ في السَّبعةِ الذين يُظِلُّهم اللهُ في ظلِّهِ: «ورجلٌ دعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ[٥] حُسنٍ وجَمالٍ: فقالَ: إنِّي أخافُ اللهَ ربَّ العالمينَ»[٦].

ومثلُ الحديثِ الذي جاءَ فيمَن أدَّى ديناً خفِيًّا أنَّه[٧] يُخيَّرُ في أيِّ الحُورِ العِينِ شاءَ[٨].

---

(١) من كلام محمد بن كعب القرظي رحمه الله. أخرجه محمد بن نصر المروزي في «قيام الليل» (مختصره ص: ٣٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (١٢٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) والسياق له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في حاشية (ف): «من أعظم المبشرات».

والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٧٣٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٨٥٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) هنا انتهى خرم في (ت).

(٦) سبق تخريجه من الصحيحين، وهذا اللفظ «ذات حسن وجمال» عند أحمد في «الزهد» (٨١٩).

(٧) في (ف): «في أنه».

(٨) أخرجه أبو يعلى (١٧٩٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

والموجبُ لخشيةِ اللهِ في السِّرِّ والعَلانيةِ أمورٌ:

منها: قوَّةُ الإيمانِ بوَعدِه ووَعيدِه على المعاصي[١].

ومنها: النَّظَرُ في شدَّةِ بَطشِه وانتقامِه[٢] وقوَّتِه وقَهرِه، وذلك يوجبُ للعَبدِ تركَ التَّعرُّضِ لِمُخالفتِه، كما قال الحسَنُ: ابنَ آدمَ، هل لك طاقةٌ بمُحارَبةِ اللهِ؟!، فإنَّ مَن عصَاه فقَد حارَبَه[٣]، وقالَ بعضُهم: عجِبتُ مِن ضعيفٍ يَعصي قويًّا[٤].

ومنها: قوَّةُ المُراقبَةِ له، والعلمِ بأنَّه شاهدٌ رقيبٌ على قُلوبِ عِبادِه وأعمالِهم، وأنَّه مع عبادِه حيث كانوا، كما دلَّ القرآنُ على ذلك في مواضعَ كقولِه تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقولِه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٧]، وقولِه تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ الآية [يونس: ٦١]، وقولِه: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨]، وكما في الحديثِ الذي خرَّجَه الطَّبَرانيُّ: «أفضلُ الإيمانِ أن يعلمَ العبدُ أنَّ اللهَ معَه حيثُ كان»[٥]. فيوجِبُ ذلك الحياءَ منه في السِّرِّ والعَلانِيَةِ.

---

(١) في حاشية (ف): «فائدة اتقاء من المعاصي».

(٢) في (س): «وسطوته».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٣٤).

(٤) في حاشية (ف): «غريبة».

قاله السري السقطي في مجلس وعظه، فتاب سامعه. كما في «التوابين» لابن قدامة (ص: ٢٦٠).

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤) من حديث عبادة بن الصامت، ولفظه: «إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت».

وأخرج الطبراني في «الصغير» (٥٥٥) من حديث عبد الله الغاضري مرفوعاً في حديث: وسئل ﷺ عن تزكية النفس، فقال: «أن يعلم أن الله معه حيث كان».

وقال بعضُهم لِمَن استوصاهُ: اتَّقِ اللهَ أن يكونَ أهوَنَ النَّاظرينَ إليك[١].

وقال بعضُهم: خفِ اللهَ على قدرِ قُدرتِه عليك، واستَحيِ منه على قدرِ قُربِه منك[٢].

وفي هذا المعنى يقولُ بعضُهُم:

يا مُدمِنَ الذَّنبِ أمَا تستحي ... واللهُ في الخَلْوةِ ثانِيكا

غرَّكَ مِن ربِّكَ إمهالُه ... وسترُه طولَ مَساوِيكا[٣]

وفي حديثِ أبي ذَرٍّ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: «ثلاثةٌ يُحبُّهُم اللهُ عزَّ وجلَّ: رجلٌ أتى قوماً فسألَهم باللهِ ولم يَسألْهم لقرابةٍ بينَه وبينَهم فمنَعوه، فتخلَّفَ رجُلٌ بأعقابِهم فأعطاه سِرًّا لا يعلمُ بعطيَّتِه إلَّا اللهُ والذي أعطاهُ، ورجُلٌ كان مع قومٍ ساروا ليلَهم حتَّى إذا كان النَّومُ أحَبَّ إليهم ممَّا يعدلُ به فوضَعوا رؤوسَهُم، فقامَ يَتملَّقُني ويتلو آياتي، ورجُلٌ كان في سَرِيَّةٍ فلقوا العدوَّ فهُزِمُوا فأقبلَ بصَدرِه حتى يُقتلَ أو يُفتحَ له»[٤].

فهؤلاءِ الثَّلاثةُ اجتمعَ[٥] لهم معاملةُ اللهِ سِرًّا بينَهم وبينَه حيثُ غفَلَ النَّاسُ عنهم،

---

(١) قاله وهيب بن الورد، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٤٢).

(٢) هو هاتف سمعه وهيب بن الورد.

أخرجه ابن أبي خيثمة في «التاريخ الكبير» (السفر الثالث (١/ ٢٤٥))، وابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٤٠).

(٣) أنشده ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٠) مما كان ابن السماك يتمثل به.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢١٣٥٥)، والترمذي (٢٥٦٨) وقال: صحيح، والنسائي (١٦١٤).

وفي (س): «لقرابة كانت بينه وبينهم». وفيها: «وقوم ساروا ليلهم». وفيها «فقام رجل يتملقني ويتلو كتابي».

(٥) في (س): «قد اجتمع».

فهو تَعالى يحِبُّ مَن يُعامِلُه سِرًّا بينَه وبينَه حيثُ لا يُعامِلُه[١] حينئذٍ أحدٌ، ولهذا فضلُ قيامٍ وسطَ اللَّيلِ على ما سواهُ مِن أوقاتِ اللَّيلِ، والمحبُّونَ للهِ يحبُّونَ ذلك أيضاً عِلماً منهم باطِّلاعِه عليهم ومُشاهدتِه لهم، فهم يكتفونَ بذلك لأنَّهم عرَفُوه فاكتَفوا به مِن بين خَلقِه[٢] وعامَلُوه فيما بينَه وبينَهم معاملةَ الشَّاهدِ غيرِ الغائبِ، وهذا مقامُ الإحسانِ.

قال بعضُ العارفينَ: مَن عرَفَ اللهَ اكتفَى بهِ مِن خَلقِه[٣].

وكان بعضُ المُخلِصينَ يقولُ: لا أعتَدُّ بما ظهرَ مِن عمَلِي[٤].

اطُّلِعَ على بعضِ أحوالِ بعضِهم، فدعا لنفسِه بالموتِ، وقال: إنَّما كانت تطيبُ الحياةُ إذ[٥] كانتِ المُعامَلةُ بيني وبينَه سِرًّا[٦].

قيل لبعضِهم: ألا تَستوحِشُ وحدَك؟ قال: كيفَ أستوحِشُ وهو يقولُ: أنا جَليسُ مَن ذَكَرني[٧]. (شعر)[٨]:

---

(١) في (س): «يعلم».

(٢) في (س): «به دون خلقه».

(٣) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١٣٣). وفي (س): «عن خلقه».

(٤) أورده أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٢٦٤)، والغزالي في «الإحياء» (٤/ ٣٨٦) من كلام سفيان الثوري.

(٥) في (ف): «إذا».

(٦) في (س): «بيني وبين الله».

وهذا القول قاله عبد أسود كان بمكة رضي الله عنه، في قصة طويلة أخرجها الدينوري في «المجالسة» (٢٩٩٢) عن عبد الله بن المبارك.

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٧) من كلام محمد بن النضر الحارثي رحمه الله.

(٨) «شعر» من (ف).

آنَسَتْنِي خَلَواتي بِكَ مِن[1] كلِّ أنيسِ
وتَفَرَّدْت فَعايَنْـ ـتُكَ[2] في الغيبِ جَليسي[3]

وأمَّا كلمةُ الحقِّ في الغضَبِ والرِّضا، فعَزيزٌ جدًّا، وقد مدحَ اللهُ مَن يغفِرُ عند غضبِه، فقال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، لأنَّ الغضَبَ يحمِلُ صاحبَه على أن يقولَ غيرَ الحقِّ ويفعَلَ غيرَ العَدلِ، فمَن كان لا يقولُ إلَّا الحقَّ[4] في الغضَبِ والرِّضا دلَّ ذلك على شدَّةِ إيمانِه[5] وأنَّه يملِكُ نفسَه، فهذا هو الشَّديدُ حقًّا.

[وخرَّج الطبرانيُّ من حديثِ أنسٍ مرفوعاً: «ثلاثٌ من أخلاقِ الإيمان: مَنْ إذا غضبَ لا يُدخِلُه غضبُه في باطلٍ، ومَنْ إذا رضي لا يُخرجه رضاهُ مِن حَقٍّ، ومَنْ إذا قدرَ لم يتعاطَ ما ليس له»[6]، وهذا هو الشديدُ حقًّا][7]،كما قالَ النَّبيُّ ﷺ: «ليس الشَّديدُ بالصُّرعةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يملِكُ نفسَه عند الغضَبِ». خرَّجاه[8].

ولِمُسلمٍ: «مَن تعُدُّون الصُّرعةَ فيكم؟» قلنا: الذي لا تصرَعُه الرِّجالُ، قال: «ليس ذلك، ولكنَّه الذي يملِكُ نفسَه عندَ الغضَبِ»[9].

---

(١) في (س): «عن».

(٢) في (ت) و(ف): «فعنايتك».

(٣) في (ت): «جليس». ولم أجد هذين البيتين عند غير المصنف رحمه الله.

(٤) في (س): «غير الحق».

(٥) في (س): «قوة إيمانه».

(٦) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١٦٤).

(٧) ما بين معقوفين من (س)، وسقط من (ت) و(ف).

(٨) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٩) أخرجه مسلم (٢٦٠٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال رجُلٌ للنَّبيِّ ﷺ: أوصِني، قال: «لا تغضَب» فردَّدَ مِراراً قال: «لا تغضَبْ» خرَّجَه البُخاريُّ[١].

وفي «المسند» أنَّ رَجُلاً قالَ: يا رسولَ اللهِ! ما يُبعِدُني من غضَبِ اللهِ؟ قال: «لا تغضَب»[٢].

قال مورِّقٌ العِجليُّ: ما قلتُ في الغضَبِ شيئاً ندمتُ عليه في الرِّضا[٣].

قال عطاءٌ[٤]: ما أبكَى العلماءَ بكاءً آخرَ العمرِ مِن غضبةٍ[٥] يغضبُها أحدُهُم فتهدِمُ عملَ خمسينَ سنةً[٦] أو ستِّينَ سنةً، ورُبَّ غضبةٍ قد أقحمَتْ صاحبَها مقحَماً ما استقالَه[٧].

كان الشَّعبيُّ ينشِدُ:

ليسَتِ الأحلامُ في حالِ الرِّضا ... إنَّما الأحلامُ في حالِ الغضَبْ[٨]

كان ابنُ عونٍ إذا اشتَدَّ غضبُه على أحدٍ قال: بارَكَ اللهُ فيك، ولم يَزِد[٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٣٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٧٦١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٣٥) وغيرهما.

(٤) في (ت) و(ف): «فقال عطاء».

(٥) في (س): «إلا من غضبة» ولا يحتاج الكلام إلى استثناء.

(٦) في (ت) و(ف): «عشرين سنة».

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا كما في «جامع العلوم والحكم» للمصنف رحمه الله (١/ ٣٧٤) وعطاء هو ابن أبي رباح.

(٨) أنشده أبو علي القشيري بسنده إلى الشعبي في «تاريخ الرقة» (٣٣٥)، وإسماعيل الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٤٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ٣٨٢).

(٩) انظر: ترجمة ابن عون في «الثقات» للعجلي (٢/ ٤٩). وفي حاشية (ف): «فائدة مهمة».

قال الفُضَيلُ: أنا منذُ خمسينَ سنةً أطلبُ صديقًا إذا غضِبَ لا يكذِبُ عليَّ ما أجِدُه[١]؛ فإنَّ مَن لا يملِكُ نفسَه عند الغضَبِ إذا غضِبَ يقولُ فيمَن غضِبَ عليهِ [ما ليس فيه من][٢] العظائِمِ وهو يعلمُ أنَّه كاذبٌ، وربَّما علِمَ النَّاسُ بذلك ويحمِلُه حقدُه وهوى نفسِه على الإصرارِ على ذلك.

قالَ جعفرُ بنُ محمَّدٍ: الغضَبُ مِفتاحُ كلِّ شَرٍّ[٣].

وقيلَ لابنِ المُباركِ: اجمَعْ لنا حُسنَ الخلقِ في كلمةٍ، قال: تركُ الغضَبِ[٤].

قال مالكُ بنُ دينارٍ: منذ عرفتُ النَّاسَ لم أُبالِ بمَدحِهِم وذَمِّهِم، لأنِّي لم أرَ إلَّا مادِحاً غالِياً أو ذامًّا غالياً[٥]، أو كما قالَ، يعني أنَّه لم يرَ مَن يقتصِدُ في ما يقولُ في رضاه وغضبِه[٦].

وأمَّا القصدُ في الفقرِ والغِنَى فهو عزيزٌ أيضاً، وهو حالُ الرَّسولِ ﷺ، كان مُقتصِداً في حالِ فقرِه وغِناه، والقَصدُ هو التَّوسُّطُ في الإنفاقِ، فإن كان فقيراً لم يَقْتُر خوفاً مِن نفادِ الرِّزقِ، ولم يُسرِف فيحملَ[٧] ما لا طاقةَ له بهِ، وكما[٨] أدَّبَ اللهُ تعالى

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (١٣٣)، وفيه: «منذ عشرين سنة».

(٢) ما بين معقوفين من (س).

(٣) ذكره الغزالي في «الإحياء» (٣/ ١٦٦).

(٤) ذكره المصنف رحمه الله أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٣٦٣).

(٥) أخرجه الخطابي في «العزلة» (ص: ٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٢)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (١٥٤) (١٥٥).

(٦) سقط قول مالك بن دينار وما بعده إلى هنا من (س) وزاد ناسخ (ف): «رضاه» بعد قوله: «من يقتصد في» وقد ضرب عليها ناسخ (ت).

(٧) في (س): «من إنفاد الرزق فيتحمل».

(٨) في (س): «كما أدب».

نبيَّه بذلك في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وإن كانَ غنياً لم يحمِلْه غناه على السَّرَفِ والطُّغيانِ، بل يكونُ مقتصداً أيضًا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وإن كانَ المؤمِنُ في حالِ غناهُ يزيدُ على نفقتِه في حالِ فقرِه، كما قالَ بعضُ السَّلَفِ: إنَّ المؤمِنَ أخذَ عنِ اللهِ أدَباً حسَناً إذا وسَّعَ عليهِ وسَّعَ على نفسِه، وإذا ضيَّقَ عليه ضيَّقَ على نفسِه، ثمَّ تلا قولَه تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧][1]، لكن يكونُ في حالِ غناهُ مُقتصِداً غيرَ مُسرِفٍ كما يفعلُه أكثرُ أهلِ الغِنى الذين يُخرِجُهم الغِنى إلى الطُّغيانِ، كما قالَ تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦ ـ ٧].

كان عليٌّ رضيَ اللهُ عنه يُعاتَبُ على اقتصادِه في لباسِه في خِلافتِه فيقولُ: هو أبعَدُ عن الكِبرِ وأجدَرُ أن يقتديَ بي المسلمُ[2].

وعوتِبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ في خلافتِه على تضييقِه على نفسِه فقالَ: إنَّ أفضلَ القَصدِ عند الجِدَةِ، وأفضلَ العَفوِ عند المقدرةِ[3]. يعني: أفضلُ ما اقتصدَ الإنسانُ في عيشه[4] وهو واجدٌ قادرٌ، وهذه حالُ النَّبيِّ ﷺ وخُلَفائِه الرَّاشدينَ لم تُغيِّرهم سَعةُ الدُّنيا والملكُ ولم يتنعَّمُوا في الدُّنيا.

---

(١) هو من كلام الحسن البصري رحمه الله أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٥٢٤)، وابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (١٦٨)، والطبري في «تهذيب الآثار» مسند عمر (٢١٧)، والبيهقي في «الشعب» (٦١٦٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣١٥).

(٢) في (س): «من الكبر» أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «المسند» (٧٠٣) وغيره.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الخمول والتواضع» (١٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٦١).

(٤) في (ف): «عيشته».

وقد رُوِيَ عن سليمانَ عليه السَّلامُ أنَّه كان يأكلُ خبزَ الشَّعيرِ ويلبسُ الصُّوفَ[١].

وسُئِلَ الحسنُ عن رجلٍ آتاهُ اللهُ مالاً فهو يحجُّ منه ويتصدَّقُ ألَهُ أن يتنعَّم منه[٢]؟ قال: لا، لو كانت له الدُّنيا ما كان لهُ إلَّا الكفافُ[٣]، ويقدمُ فضلَ ذلك ليومِ فقرِه وفاقَتِه، إنَّما كان أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ ومَن أخذَ عنهم مِن التَّابعين ما آتاهُم اللهُ مِن رزقٍ أخَذُوا منه الكَفافَ وقدَّموا فضلَ ذلك ليومِ فقرِهم وفاقَتِهم[٤].

وقالَ ابنُ عمرَ لبعضِ ولَدِه: لا تكن[٥] مِن الذين يجعَلون ما أنعمَ اللهُ عليهم به في بُطونِهم وعلى ظُهورِهم[٦]. إشارةً إلى أنَّ المالَ لا يُنفَقُ كلُّه في شَهواتِ النُّفوسِ وإن كانت مباحةً، بل يجعلُ صاحبُه منه نصيباً لدارِه الباقيةِ؛ فإنَّه لا يبقى له منه غيرُ ذلك.

وفي الجملةِ، فالاقتصادُ في كلِّ الأمورِ حسَنٌ حتَّى في العبادةِ، ولهذا نُهِيَ عنِ التَّشديدِ في العبادةِ على النَّفسِ، وأُمِرَ فيها بالاقتصادِ، وقالَ ﷺ: «عليكُم هَدْياً قاصِداً»[٧] فإنَّ، «اللهَ لن يمَلَّ حتَّى تمَلُّوا»[٨].

---

(١) ذكر ذلك ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٤٤١).

ونقل هذا عن سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام.

(٢) في (س): «أفله أن يتنعم فيه منه».

(٣) في (س): «ما كان له منها إلا الكفاف».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٩٨).

(٥) في (س): «إياك أن تكون».

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٥٣) (١٠٠٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٧٧٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠١).

(٧) أخرجه الإمام أحمد من حديث بريدة الأسلمي (٢٣٠٥٣) (٢٢٩٦٣).

(٨) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها (٧٨٢). =

وفي «مسندِ البزَّارِ» عن حذيفةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «ما أحسنَ القَصْدَ في الغنى، وأحسنَ القَصْدَ في الفقرِ، وأحسَنَ القَصْدَ في العبادةِ»(١).

* * *

قولُه: «وأسألُك نعيماً لا ينفَدُ».

النَّعيمُ الذي لا ينفَدُ هو نعيمُ الآخرةِ، كما قالَ تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وقالَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، وقالَ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وفي الدُّعاءِ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «أسألُكَ الدَّرَجاتِ العُلَى»(٢)، «والنَّعيمَ المُقيمَ»(٣).

وسمعَ النَّبيُّ ﷺ ابنَ مَسعودٍ ليلةً يقولُ: أسألُك إيماناً لا يرتدُّ، ونعيماً لا ينفَدُ، ومرافقةَ نبيِّكَ محمَّدٍ ﷺ، في أعلى جنَّةِ الخُلدِ، فقالَ: «سَلْ تُعطَه»(٤).

ولَمَّا سمِعَ عثمانُ بنُ مَظعونٍ لَبيداً ينشدُ:

ألَا كلُّ شـــيءٍ مـــا خـــلا اللهَ باطِـــلُ

= وفي (س): «لا يمل» أخرجه كذلك البخاري (١١٥١) عن عائشة رضي الله عنها.

تنبيه: ورد في ابن ماجه (٤٢٤١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في قصة مرفوعاً: «يا أيها الناس عليكم بالقصد ـ ثلاثاً ـ فإن الله لا يمل حتى تملوا».

(١) أخرجه البزار (٢٩٤٦).

(٢) قطعة من حديث أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٤٢٢)، وفي «الأوسط» (٦٢١٨) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) قطعة من حديث أخرجه الإمام أحمد (١٥٤٩٢)، والبزار (٣٧٢٤) من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه.

(٤) في حاشية (ت): «بلغ». والحديث أخرجه الإمام أحمد (٣٧٩٧) (٤٢٥٥) (٤٣٤٠)، وأخرجه الترمذي (٥٩٣) مختصراً.

قال: صدَقْتَ، فقالَ لبيدٌ:

وكلُّ نعيـــمٍ لا محالـــةَ زائـــلُ

فقالَ له: كذبتَ، نعيمُ الجنَّةِ لا ينفدُ[١].

فنعيمُ الجنَّةِ مُقيمٌ، كما قالَ تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]، وأمَّا نعيمُ الدُّنيا فهو نافدٌ كما أنَّ الدُّنيا كلَّها نافدةٌ، فلو نُعِّمَ الإنسانُ فيها ما نُعِّمَ[٢] فإن ذلك ينفدُ، وكأنَّه حين ينزلُ به الموتُ وسَكْرتُه لم يذُق نعيماً من نعيمِ الدُّنيا قط كما قالَ تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧].

وقالَ بعضُ السَّلَفِ: إذا جاءَ الموتُ لم يُغنِ عن الإنسانِ ما كانَ فيه مِن النَّعيمِ واللذة[٣]، ثمَّ تلا هذه الآيةَ[٤].

وكان الرَّشيدُ قد بنى قَصْراً، فلمَّا فرغَ منه نجَّدَه وفرَشَه، واستدعى إليه أنواعَ الأطعمةِ والأشربةِ، وجلسَ فيه مع نُدَمائِه، ثمَّ استَدْعى إليه أبا العَتاهيةِ، فأمرَه أن يصِفَ ما هم فيه مِن العيشِ[٥]، فقال أبو العَتاهيةِ:

عِـش مـا بـدا لـكَ سـالِمًا ... فـي ظـلِّ شـاهقةِ القُصُـور

يُسْـعى عليك بما اشتَهيـ ... ـتَ لدَى الرَّواحِ وفي البُكور

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٣١٦) من حديث عروة مطولًا، وذكره ابن إسحاق وابن هشام (٢/ ١٤) في «السيرة».

(٢) في (س): «في الدنيا ما عسى أن ينعم».

(٣) سقطت هذه اللفظة من (ت) و(ف).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٦١) من كلام الحسن بن صالح رحمه الله.

(٥) في (س): «ثم أمره»، «من النعيم والعيش».

فـــإذا الـنُّـــفوسُ تـقَـــعْقعَتْ في ضيـقِ حَشـرجةِ الصُّـدور

فـهـــناك[١] تعلـمُ مـوقِـــناً ما كنـــتَ إلَّا فـي غُـرور[٢]

فبكى الرشيد واشتدَّ بكاؤُه، فقالَ الوَزيرُ لأبي العَتاهيةِ: دعاكَ أميرُ المؤمنينَ لتَسُرَّه[٣] فأحزنْتَه!، فقالَ: دعْهُ، فإنَّه رآنا في عمّى، فكرِهَ أن يزيدَنا عمّى[٤].

قال مالكُ بنُ دينارٍ: رأيتُ بالبحرينِ قَصْراً مشيداً [ظريفاً][٥]، وعلى بابِه مكتوبٌ:

طلبـتُ العيـشَ أسـعدَ نـاعـمِيـهِ وعشتُ مِـن المعايـشِ فـي النَّعيـمِ

فلـم ألبَـثْ وربِّ النَّـاسِ طُـرًّا سُلِبتُ مِـن الأقـاربِ والحَميـمِ

فقلتُ: ما هذا القصرُ؟ قالوا: هذا أنعمُ أهلِ البَحرينِ، مات فأوْصى أن يدفنَ في قصرِه، وأن يكتبَ على بابِه هذا الكلامُ، قال مالكٌ: فعجِبتُ مِن معرفتِه! فهلَّا يستقبلُ الموتَ بتَوبةٍ؟! ثمَّ بكى مالكٌ[٦].

إذا غُمِسَ أنعَمُ النَّاسِ كان في الدُّنيا في العذابِ غمسةً قيلَ له: هل مرَّ بك نعيمٌ قطُّ، فيقولُ: لا يا ربِّ[٧].

---

(١) في (ت): «فهنالك».

(٢) هنا يبدأ خرم مقداره ورقة من النسخة (ت).

(٣) في (ف): «للمسرة».

(٤) أخرجه من طريق ابن أبي الدنيا: الدينوري في «المجالسة» (١٦٢١).

(٥) في (ف) و(ر): «طرياً» وسقطت الكلمة من (س). وأثبت ما جاء في المصدر.

(٦) في (س): «لأسعد ناعماً».

أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٢٠٩).

(٧) في (س): «غمسة في العذاب» والمعنى في «صحيح مسلم» (٢٨٠٧)، وابن ماجه (٤٣٢١) من حديث أنس رضي الله عنه.

وفي الحقيقةِ: إن النَّعيمُ الذي لا ينفَدُ هو طاعةُ اللهِ وذكرُه ومحبَّتُه والأنسُ به والشَّوقُ إلى لقائِه، فإنَّ هذا نعيمٌ لأهلِه في الدُّنيا.

قال مالكُ بنُ دينارٍ: في بعضِ الكتُبِ: يقولُ اللهُ تعالى: أيُّها الصِّدِّيقونَ! تنعَّموا بذكرِي فإنه لكم في الدُّنيا نعيمٌ وفي الآخرةِ جزاءٌ[١].

وقال: ما تنعَّمَ المُتنعِّمون بمثلِ ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ[٢].

وقالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ: لو يعلمُ الملوكُ وأبناء الملوك ما نحن فيه لَجالَدونا عليهِ بالسُّيوفِ[٣].

قال أبو سُلَيمانَ: أهلُ اللَّيلِ في ليلِهم ألذُّ مِن أهلِ اللَّهوِ في لهوهِم، ولولا الليلُ ما أحببتُ البقاءَ في الدُّنيا، وإنَّه ليمرُّ على القلبِ أوقاتٌ يضحكُ فيه ضحِكاً[٤].

وكان بعضُ العارفينَ يقولُ إنَّه ليمرُّ بي أوقاتٌ أقولُ: إن كان أهلُ الجنَّةِ في مثلِ ما أنا فيه إنَّهم لَفِي عيشٍ طيِّبٍ[٥].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٥٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٨) من طريق الإمام أحمد. وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٧٠)، والخطيب في «الزهد والرقائق» (١١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٣، ٣٦٦).

(٤) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (١٥٥) (٥٤٣) (١٥٦٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٧٥)، والخطيب في «المنتخب من كتاب الزهد والرقائق» (٦٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

(٥) أصل الكلام لعابد من أهل طرسوس، وهو أبو سليمان المغربي، كما ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٢٣).

أهـلُ المحبَّـةِ قـومٌ شـأنُهم عجَبٌ يـقـودهـم حـزَنٌ يَهُزُّهـم طـرَبُ

العيـشُ عَيْشـهُمُ والمُلْـكُ مُلكُـهُـمُ ما النَّـاسُ إلَّا هُـمُ بانـوا أمِ اقتَرَبُـوا[١]

فهـذا نعيـمٌ فـي الدُّنيـا، فـإذا انتقَلُـوا[٢] إلـى البـرزَخِ فهـم فـي نَعيـمٍ أزيَـدَ مِن ذلـك، كما قـالَ بعضُ السَّـلَفِ: أنعَـمُ النَّاسِ: أجسـادٌ في التُّـرابِ، أمِنَـتِ العذابَ، وانتظرَتِ الثَّـوابَ[٣].

وقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: ما أعلَمُ أحداً أنعمَ ممَّن صارَ إلى هذهِ القبورِ، وأمِنَ مِن عذابِ اللهِ عزَّ وجلَّ[٤].

وإذا بُعِثوا للجزاء فلهم حينئذٍ[٥] النَّعيمُ الأعظَمُ في جنَّاتِ النَّعيمِ، ويُنادي مُنادٍ: إنَّ لكم أن تحْيَوا فلا تموتوا أبداً، وإنَّ لكم أن تصِحُّوا فلا تسقَمُوا أبداً، وإنَّ لكم أن تشبُّوا فلا تهرَمُوا أبداً، وإنَّ لكم أن تنعَمُوا فلا تبأَسُوا أبداً[٦].

* * *

---

(١) ذكر المصنف رحمه الله نحوهما في «شرح حديث زيد بن ثابت: لبيك اللهم لبيك».

(٢) في (س): «انقلبوا».

(٣) أخرج نحوه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٥٣) من كلام صفوان بن عمرو قاله لبقية بن الوليد في قصة.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا، وعنه الدولابي في «الكنى والأسماء» (٥٥٩)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٦٩).

(٥) في (ف): «إلى الجزاء حينئذ فلهم».

(٦) في حاشية (س): «بلغ».

وهذا من حديث أخرجه مسلم (٢٨٣٧) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وقولُه ﷺ: «وقرةَ عينٍ لا تنقطع»:

قرَّةُ العينِ مِن جملةِ النَّعيمِ، فمنهُ ما هو مُنقطِعٌ، ومنه ما لا ينقطِعُ، فمَن قرَّت عينُه بالدُّنيا فقُرَّةُ عينِه مُنقطِعةٌ وأيضاً فسُرورُها لا يدومُ؛ لأنَّ لذَّاتِها مَشوبةٌ بالفَجائعِ والنغصِ، وكيف تقرُّ عين المؤمنِ في الدُّنيا وهو يعلَمُ سُرعةَ انقِضائِها ومُفارقةَ ما له فيها مِن أهلٍ وولَدٍ ومالٍ؟، ويعلمُ ما يعالجُه عند مُفارقتِها مِن سكَراتِ الموتِ، وما يلقاهُ في البرزَخِ مِن الوَحشةِ والوَحدةِ والضِّيقِ، ثمَّ ما يخشاهُ يومَ القيامةِ مِن العَذابِ[1].

قالَ بعضُ السَّلَفِ: ما تركَ الموتُ للمُؤمنِ مِن قرَّةِ عينٍ في أهلٍ ولا مالٍ ولا ولَدٍ[2].

وقال مُطرِّفٌ: إنَّ هذا الموتَ قد أفسدَ على أهلِ النَّعيمِ نعيمَهم فالتمِسُوا نعيماً لا موتَ فيه[3].

وقال بعضُ السَّلفِ: عجَباً لِمَن يُوقِنُ بالموتِ كيف تقَرُّ بالدُّنيا عينُه؟، أم كيف يطيبُ فيها عيشُه[4]؟.

ونظرَ بعضُهم إلى دارٍ له حسَنةٍ فبكَى، وقالَ: واللهِ لولا الموتُ لكنتُ بكِ مَسروراً، ولولا ما نصيرُ إليه مِن ضيقِ القُبورِ لقرَّتْ بالدُّنيا أعيُنُنا، ثمَّ بكى حتى ارتفَعَ صوتُه[5].

---

(١) في (س): «العقاب».

(٢) نقل المصنف رحمه الله نحوه عن يونس بن عبيد في «لطائف المعارف» (ص: ٧١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٢٩١)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٣٢٢).

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٤١٦) من كلام مالك بن دينار.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢٧٢) عن وهيب بن الورد قال: نظر ابن مطيع... والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٨٣).

رأى بعضُ السَّلَفِ في المنام قائلاً وهو يقولُ له:

وكيفَ تنامُ العينُ وهي قَريرةٌ ولم تَدرِ في أيِّ المحلَّيْنِ تنزِلُ[١]

فلا تقَرُّ عينُ المؤمنِ في الدُّنيا إلَّا باللهِ عزَّ وجلَّ وذِكرِه ومحبَّتِه والأُنسِ به، ومَن قرَّتْ عينُه باللهِ فقد حصلَتْ له قرَّةُ العينِ التي لا تنقطِعُ في الدُّنيا ولا في البرزَخِ ولا في الآخرةِ، وقرَّتْ به عيونُ المُؤمنينَ كما قال بعضُهم: مَن قرَّتْ عينُه باللهِ قرَّتْ بهِ كلُّ عينٍ[٢].

وكان حبيبٌ العجَميُّ يخلو في بيتِه ثمَّ يقولُ: مَن لم تقرَّ عينُه بك فلا قرَّت، ومَن لم يأنَسْ بك فلا أنِسَ[٣].

وروي عنه أنَّه كانَ يقولُ: لا قرَّتْ عينٌ لِمَن لم تقَرَّ عينُه بكَ، ولا فرَحَ لِمَن لم يفرَحْ بك، وعزَّتِكَ إنَّك لَتعلَمُ أنِّي أحِبُّكَ[٤].

وقال حبيبٌ ليزيدَ الرَّقاشيِّ: بأيِّ شيءٍ تقَرُّ عيونُ العابدينَ في الدُّنيا؟، وبأيِّ شيء تقر أعينهم في الآخرة؟ قال: ما أعلم شيئاً أقر لعيون العابدين في الدنيا[٥]

---

(١) أنشده ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٤٥) عن رجل يقال له: التمتام عن رجل من الحي. وذكره أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٤٣) في قصته لذي النون سمعه من امرأة سوداء. وذكره البيهقي في «الشعب» (٩٥٨) عن أبي الفتح البغدادي سمعه هاتفاً.

(٢) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في «الفتوة» (ص: ٣٥)، وفي «طبقات الصوفية» (ص: ١٠٢)، ومن طريقه: البيهقي في «الزهد الكبير» (٧٢٦) من كلام يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٠٣). وتصحفت العجمي في (س) إلى: «العجلي».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٥٤)، وفي (س): «عينُ من لم»، «ولا فرِحَ مَنْ».

(٥) سقطت الجملة الثانية من سؤال حبيب وأول جواب يزيد من (ف)، فوقع فيها: «فقال: بالإكثار من...».

مِن التَّهجُّدِ في ظُلمةِ اللَّيلِ، وأمَّا الذي تقَرُّ به عيونهم في الآخرةِ فما أعلمُ شيئاً مِن نعيمِ الجنانِ وسُرورِها ألذَّ عند العابدينَ ولا أقرَّ لعيونِهم مِن النَّظَرِ إلى ذي الكبرياءِ العظيمِ إذا رُفِعَت تلك الحجُبُ وتجلَّى لهم الكريمُ، فصاحَ حبيبٌ عند ذلك صيحةً خرَّ مغشيًّا عليه(١).

كان كَهْمسُ بن حسن يقولُ في جوف الليل(٢): أتراك مُعذِّبي وأنتَ قرَّةُ عيني يا حبيبَ قلباه(٣).

كان بعضُ العابدينَ يُصلِّي فنامَ في سُجودِه فرأى في منامِه كأنَّه وقَف بين يدي اللهِ عزَّ وجلَّ وهو يقولُ لِمَلائكتِه: انظروا إلى عَبدي، بدنُه في طاعَتي وروحُه عندي، فاستيقظَ، فقال: أنتَ قرَّةُ عيني في نومِي وأنتَ قرَّةُ عيني في يقظَتِي(٤).

كان يحيى بنُ مُعاذٍ الرازي يُنشِدُ:

قرَّةَ عيني لابدَّ لي منكَ وإن ... أوحشَ بيني وبَيْنكَ الزَّلَلُ

قرَّةَ عيني أنا الغريقُ فخُذ ... كفَّ غريقٍ عليك يتَّكِلُ(٥)

كان بعضُهم يقولُ: أنت قرَّةُ عينِ المطيعينَ، وقُرَّةُ عينِ العاصينَ، وكيف لا تكونُ قرَّةَ عينِ المطيعينَ وأنت مننتَ عليهم بالطَّاعةِ؟، وكيف لا تكونُ قرَّةَ عينِ العاصينَ وأنتَ منَنْتَ عليهم بالتَّوبةِ(٦)؟

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (٣٥٠).

(٢) هنا ينتهي خرم مقداره ورقة في (ت).

(٣) أخرجه الخلتي في «المحبة لله» (١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢١٣).

(٤) أخرجه الخلتي في «المحبة لله» (٢٥٩) عن أبي بكر المحلمي.

(٥) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله، وأورده في «لطائف المعارف» (ص: ٤٩٦).

(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٢٧٧) من كلام يحيى بن أيوب المقابري.

مَن قرَّتْ عينُه بمُناجاةِ اللهِ في ظُلمةِ اللَّيلِ سِرًّا، أقرَّ اللهُ عينَه بما لم يُطلِع عليه بشَراً، كما قالَ تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦ ـ ١٧].

وفي الأثرِ عن فُضَيلِ بنِ عياضٍ: يقولُ اللهُ: كذَبَ مَن ادَّعى محبَّتي فإذا جنَّه اللَّيلُ نامَ عني، أليس كلُّ حبيبٍ يحبُّ خلوةَ حبيبِه؟، فإذا جنَّ اللَّيلُ جعلتُ أبصارَهم في قلوبِهم، وكلَّمُوني على المشاهدةِ، وخاطَبوني على حُضوري، غداً أُقِرُّ أعيُنَ أحبابي في جِناني[1].

* * *

قولُه ﷺ: «وأسألُكَ الرِّضَا بعدَ القَضا»:

الرِّضا مقامٌ عظيمٌ[2] مَن حصَلَ له فقد رضِيَ اللهُ عنه، كما قالَ تعالى: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢، والبينة: ٨]، وفي الحديثِ: «مَن رضِيَ فله الرِّضا ومَن سخِطَ فله السخطُ»[3].

قالَ بعضُهم: لن يَرِدَ القيامةَ أعظمُ درجَةً مِن الرَّاضينَ بقضاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ[4].

وقالَ بعضُهم: مَن وُهِبَ له الرِّضا فقد بلغَ أفضلَ الدَّرَجاتِ[5].

---

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (١٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٩).

(٢) في (س): «الرضا بالقضا مقام عظيم».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٤٠٣١).

(٤) ذكره الأصبهاني في «سير السلف الصالحين» (٤/ ١٢٦١) من كلام أبي عبد الله البراثي، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٣٨) مع الذي يليه.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٣١) من كلام أبي عبد الله البراثي، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٣٨) مع الذي قبله. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٤٩) من كلام بشر الحافي رحمه الله.

وقال بعضُهم: في قولِه تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] قال: الرِّضا والقَناعةُ[١].

قال عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ: الرِّضا بابُ اللهِ الأعظَمُ وجنَّةُ الدُّنيا ومُستراحُ العابدينَ[٢].

قالت أمُّ الدَّرداءِ: إنَّ الرَّاضينَ بقَضاءِ اللهِ، الذين ما قضَى اللهُ لهم رضُوا بهِ، لهم في الجنَّةِ منازلُ يغبِطُهم بها الشُّهَداءُ[٣].

يا أيها الراضي بأحكامنا ... لا بد أن تحمد عقبى الرضا

فوض إلينا وارض مستسلماً ... فالراحة العظمى لمن فوضا

وإن تعرضت لأسبابنا ... فلا تكن عن بابنا معرضا

فإن فينا خلقاً باقيا من ... كل ما فات وما قد مضى[٤]

وإنَّما قالَ: «الرِّضا بعدَ القَضا»؛ لأنَّ الرِّضا قبلَ القضاءِ عزمٌ على الرِّضا، فإذا وقعَ القَضاءُ فقد تنفسِخُ العَزائمُ، كما قالَ بعضُهم:

وليس لي في سِواكَ حَظٌّ ... فكيفَ ما شئتَ فامتحِنِّي[٥]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٤٢) (٧١) من كلام أبي معاوية الأسود.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٥٦).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٨)، وفي مطبوعه: «منارٌ يغبطهم»! ولعله تصحيف.

(٤) هذه الأبيات سقطت من (ت) و(ف) و(س)والمثبت من (ر)، وانظر عنها: «آداب الدعاء» ليوسف بن عبد الهادي الحنبلي (ص: ١٦٥)، و«الضوء اللامع» للسخاوي (٢/ ١٦) (٦/ ١١٢).

(٥) في (س) و(ك): «فاختبرني».

فابتُلِيَ بعُسرِ البولِ فلم يَصبِر وجعلَ يَطوفُ على المكاتبِ ويقولُ للصِّبيانِ: ادْعُوا لعمِّكم الكذَّابِ[١].

وكذا قولُ مَن قال[٢]: لو أدخلَني النَّارَ كنتُ راضياً[٣]. هو أيضاً عزمٌ على الرِّضا، ولا يَدرِي هل يثبتُ أو ينفسِخُ، فلا ينبغي للعبدِ أن يتعرَّضَ للبَلاءِ، ولكن يسألُ اللهَ العافيةَ وأن يَرزقَه الرِّضا بالبَلاءِ إن قدَّرَ له البلاءَ[٤].

كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يقولُ: ما تركَتْني هذه الدَّعواتُ ولي سرورٌ في غيرِ مواقعِ القَضاءِ والقدرِ: اللهمَّ رضِّني بقَضائِك وبارِك لي في قدَرِك حتَّى لا أُحِبَّ تأخيرَ ما عجَّلْتَ ولا تعجيلَ ما أخَّرْت[٥].

قال بعضُهم: الرَّاضي لا يتمنَّى غيرَ مَنزلتِه[٦]، التي هو عليها لأنَّه قد رضِيَ بها.

وقد يستغرِقُ المحبُّ في الرِّضا عن حبيبِه، حتى لا يحسَّ بألمِ البَلاءِ لِمُلاحظتِه عظَمَةَ المُبتلِي وكمالَه وحِكمتَه ورحمتَه، وأنَّه غيرُ مُتَّهمٍ في قضائِه، وقد وصَّى النَّبيُّ ﷺ رجُلاً فقالَ: «لا تتَّهمِ اللهَ فيما قضاهُ لك»[٧].

---

(١) ذكره القشيري في «رسالته» عن سمنون بن حمزة (١/ ٩١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣١٠).

(٢) في (ف): «يقول».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٦٣) عن أبي سليمان الداراني.

(٤) «إن قدر له البلاء» سقطت من (ف).

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٣٦٣)، وابن عبد الحكم في «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص: ٩٧)، وابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله» (١٠، ٤٦) بألفاظ مقاربة.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (١٦) (٢٣) من كلام الفضيل بن عياض رحمه الله.

(٧) في (س): «فيما قضى». والحديث أخرجه الإمام أحمد (٢٢٧١٧) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

كان بعضُ أهلِ البلاءِ يقولُ:

لـــو قطَّعَنـــي إِرْبـــــاً إِرْبـــا مـــا ازدَدْتُ لـــهُ إلَّا حُبّـــا[1]

[لـو قطـعـني الـغـرام إربـاً إربـاً ما ازددت لكم على الملام إلا حباً

لا زلـت بكـم أسـير وجـد صبـا حتـى أقضي على هواكـم نحبا][2]

كان بعـضُ العارفيـنَ يطـوفُ بالبيـتِ، فهجَـمَ القَرامطةُ علـى النَّـاسِ فقتَلُوهم بالسُّـيوفِ، وهـو يَطـوفُ فأخذَتْهُ السُّـيوفُ، فلـم يقطَعْ طوافَـه حتَّى سـقطَ، فتمثَّلَ:

تـرَى المُحِبِّيـنَ صَرْعـى فـي دِيارِهـــمُ كفِتيةِ الكهـفِ لا يَـدْرونَ كـم لَبِثُـوا[3]

قُتِـلَ لرَجـلٍ مِـن الصَّالحيـنَ ابنـانِ فـي الجهـادِ، فجـاء النَّـاسُ يُعزُّونَـه بهمـا، فبَكـى وقـالَ: واللهِ مـا أبكـي علـى قَتلِهما ولكـن أبكي كيـفَ كان رِضاهُمـا عنِ اللهِ حيـن أخذَتْهما السُّـيوفُ[4].

إن كانَ سُـــكَّانُ الـغَـضى رَضُـــوا بقَتْلـــي فرِضَـــا

واللهِ لا كـنـــــتُ[5] لِـمَـــا يَـهْـــوى الحبيـــبُ مُبغِضَـــا

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١٩٣).

(٢) هذان البيتان سقطا من (ت) و(ف) و(س)، والمثبت من (ر). وذكر هذين البيتين: ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٨٢).

(٣) وكان ذلك سنة ٣١٧، والخبر ذكره ابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص: ١٧٥)، وفي «المنتظم» (١٣/ ٢٨١) والقائل: علي بن بابويه رحمه الله تعالى.

(٤) ذكره المصنف في عدد من كتبه، وذكر ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٧٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٦٤٥) نحو هذه القصة.

(٥) في (ف): «لا كنت».

صِـــرتُ لهـــم عَبْـــداً وما للعَبـــــدِ أن يَعتـــــرِضَا
مَـــن لِـمَـريـــضٍ لا يَـــرى إلَّا الطَّبيـــبَ المُمرِضَـــا[1]

* * *

قولُه ﷺ: «وبردَ العيشِ بعدَ الموتِ»:

هذا يدلُّ على أنَّ العيشَ وطِيبَه وبَرْدَه إنَّما هو بعدَ الموتِ، فإنَّ العيشَ قبلَ الموتِ منغَّصٌ، ولو لم يكن له منغِّصٌ سوى الموتِ، كما قالَ بعضُهم:

إنَّ عَيْشـــاً يكـــون آخـــرَه المـــو تُ لعَيْـــشٌ معجَّـــلُ التَّنغيـــصِ[2]

فكيف ومع ذلك له منغِّصاتٌ كثيرةٌ مِن الهُمومِ والغُمومِ والأمراضِ والأسقامِ والهرَمِ ومُفارقةِ الأحبابِ، وآخرُ الدُّنيا كلِّها الموتُ.

قال بعضُ السَّلَفِ: كيف يلذُّ العيشُ لِمَن يعلَمُ أنَّه يموتُ[3].

وقال بعضهم: ثنتان قطعتا عني لذات الدنيا: ذكر الموت المنغص، والوقوف بين يدي الله عز وجل[4].

---

(١) ذكر الأبيات ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٢٧٧)، والعماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (٣/ ٦٦) وهي من قصيدة لأبي عبد الله الحسين بن محمد البارع النحوي الشاعر، المتوفى سنة ٥٢٤ رحمه الله.

(٢) تمثل به عبد الله بن يعقوب في يوم موته، كما في «المحتضرين» لابن أبي الدنيا (٣٠٣). والبيت لأبي العتاهية وأوصى أن يكتب على قبره كما في «تاريخ دمشق» (٧/ ٥٩).

(٣) أي خير في لذة وهذا الموت يقفوها. انظر: «الوجل والتوثق بالعمل» لابن أبي الدنيا (ص: ٣٨).

(٤) سقط الأثر من (ت) و(ف) و(س)، والمثبت من (ز).
أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٨٨) من كلام عبد الأعلى التيمي.

وكيف يلذ العيش من كان موقناً ... بأن المنايا بغتة ستعاجله

وكيف يلذ العيش من كان موقناً ... بأن إله الخلق لا بد سائله[1]

ولبعضِهم:

وكيفَ قرَّتْ لأهلِ العلمِ أعيُنُهم ... أو استلَذُّوا لذيذَ النَّومِ أو هجَعوا

والموتُ يُنذِرُهم جَهْراً علانيَةً ... لو كان للقَومِ أسماعٌ لقد سَمِعوا

والنَّارُ ضاحيةً لا بُدَّ موردُهم ... وليس يَدرونَ مَن ينجو ومَن يقَعُ[2]

فحينئذٍ فلا يطيبُ العيش إلَّا بعد الموتِ، وهو عيشُ مَن أمِنَ مِن عذابِ اللهِ ووصلَ إلى ثوابِه، فلذلك سألَ بردَ العيشِ بعدَه.

وكان النَّبيُّ ﷺ يقولُ لَمَّا حفرَ الخندقَ، وجهدَ هو وأصحابُه في حَفرِه: «اللَّهمَّ لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة، فاغفِر للأنصارِ والمُهاجِرَة»[3].

كان يزيدُ الرَّقاشيُّ يقولُ: أمِنَ أهلُ الجنَّةِ مِن الموتِ فطابَ لهم العيشُ، وأمنوا مِن الأسقامِ فهنيئاً لهم في جوارِ اللهِ طولُ المقامِ[4].

وعن وهبٍ قالَ: أوحى اللهُ إلى عِيسى عليهِ السَّلامُ: يا عيسى! ما خيرُ عيشٍ عن صاحبِه يزولُ، وما خيرُ لذاذةٍ لا تدومُ[5]؟

---

(١) سقط البيتان من (ت) و(ف) و(س)، والمثبت من (ر).

وانظر: «القبور» لابن أبي الدنيا (٢١٨) و«تاريخ دمشق» (٢٨/ ٣٥٤).

(٢) أنشده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٧٤) لابن المبارك رحمه الله.

وفي (س): «واستلذوا بلذيذ النوم إذ هجعوا».

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٩٥) ومسلم (١٨٠٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٨٧).

(٥) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

وأنشدَ بعضُهم:

تَنقضِـي الدُّنيـا وتَفْنى ... والفـتَى فيهـا مُعنَّـى
ليـس فـي الدُّنيـا نعيـمٌ ... لا ولا عيـشٌ مُهـنَّا
يـا غَنِيـاً بـالـدَّنـانِـيـ ... ـر مُحِـبُّ اللهِ أَغْنـى[1]

ولبعضِهم:

إنَّمـا الدُّنيـا وإن سَـرْ ... رَتْ قليـلٌ مِـن قَليـلِ
ليـس تعـدو أن تَبـدَّى ... لـك فـي زِيٍّ جميـلِ
ثـمَّ ترميـكَ مِـن المـأ ... مَـنِ بالخَطـبِ الجَليـلِ
إنَّما العيشُ فـي جوارِ الـ ... ـلـهِ فـي ظِـلٍّ ظَـليـلِ
حيـثُ لا تسـمعُ مـا يـؤ ... ذِيـكَ مِـن قـالٍ وقيـلِ[2]

* * *

قولُه ﷺ: «وأسألُكَ لذَّةَ النَّظَرِ إلى وجهِكَ، والشَّوقَ إلى لقائِكَ، في غيرِ ضرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولا فِتنةٍ مُضِلَّةٍ»:

هذان الأمرانِ هما سَعادةُ الدُّنيا والآخرةِ، وأعظمُ لذاتهما[3]، وأعلى ما يحصلُ للمُؤمنِ فيهما؛ فإنَّ أعلى ما[4] في الآخرةِ: النَّظرُ إلى وجهِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وهو أعظمُ مِن الجنَّةِ وكلِّ ما فيها.

---

(١) أنشده علي بن محمد بن بشار، ذكره أبو موسى المديني في «اللطائف من دقائق المعارف» (ص: ٣٩).

(٢) أنشدها ابن أبي الدنيا لرجل يشكري في «ذم الدنيا» (٨١)، وفي «الزهد» (١٧٠). وهي في «الحلية» (١٠/ ٢١٧).

(٣) في (ف): «لذاتها».

(٤) في (ف): «منازل».

وفي «الصَّحيحِ»: عنِ النَّبيِّ ﷺ: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ نادى مُنادٍ: إنَّ لكم عندَ اللهِ مَوعِدًا يُريدُ أن يُنجِزَكُموه، فيقولونَ: ألَمْ يُبيِّضْ وُجوهَنا؟ ألم يُثقِّلْ مَوازينَنا؟ ألم يُدخِلْنا الجنَّةَ ويُزَحزِحْنا عنِ النَّارِ[1]؟ فيُكشَفُ الحجابُ ينظرونُ[2] إليه، فواللهِ ما أعطاهُم اللهُ شيئاً هو أحبَّ إليهم مِن النَّظرِ إليه».

وفي روايةٍ: «ولا أقرَّ لأعيُنِهم مِن النَّظَرِ إليه، وهو الزِّيادةُ»، ثمَّ تلا: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][3].

وفي «مسندِ البزَّارِ» مِن حديثِ حُذَيفةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ: أنَّه يكشفُ الحِجابَ[4]، ويتجلَّى لهم، فيغشاهُم مِن نورِه شيءٌ لولا قضيَ عليهم أن لا يحترِقوا لاحترَقوا[5] ممَّا غشِيَهم مِن نورِه، فإذا رجَعوا إلى منازِلِهم خَفَوا على أزواجِهم ممَّا غشِيَهم مِن نورِه، حتَّى يعودُوا إلى صورِهم التي كانوا عليها»[6].

قال الحسنُ: إنَّ اللهَ يتجلَّى لأهلِ الجنَّةِ، فإذا رآهُ أهلُ الجنَّةِ نسوا نعيمَ الجنَّةِ[7].

وقال ابنُ أبي ليلى: إذا تجلَّى لهم ربُّهم فلا يكونُ ما أعطوا[8] عند ذلك

---

(١) في (س): «وتجرنا من النار» وقد جاءت فيها الأفعال قبله بتاء الخطاب.

(٢) في (س): «فينظرون».

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٨٩٣٥) (١٨٩٣٦) (٢٣٩٢٥)، ومسلم (١٨١)، والترمذي (٢٥٥٢).
والرواية التي أشار إليها هي عند الإمام أحمد (١٨٩٤١)، وهناد في «الزهد» (١٧١)، وابن ماجه (١٨٧).

(٤) في (س): «الحجب».

(٥) في (س): «لو قضي عليهم أن يحترقوا من نوره لاحترقوا».

(٦) هذا مختصر أخرجه البزار (٢٨٨١) في حديث طويل. قال علي بن المديني: هذا حديث غريب.

(٧) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٥٧٢).

(٨) في (س): «أعطوه».

بشيءٍ، ولا يرهقُ وجوهَهم قترٌ ولا ذلةٌ بعد نظرهم إلى ربِّهم عزَّ وجلَّ[١].

وقال الحسَنُ: لو علِمَ العابِدونَ أنَّهم لا يرَوْنَ ربَّهم في الآخرة لماتوا، وفي رواية قال: لذابت أنفسهم[٢].

وكان أبو سُليمانَ يقولُ: أيُّ شيءٍ أرادَ أهلُ المعرفةِ؟ ما أرادوا كلُّهم إلَّا ما سألَ موسى عليهِ السَّلامُ[٣].

وقال ذو النُّونِ: ما طابتِ الدُّنيا إلا بذكرِه، ولا طابتِ الآخرةُ إلَّا بعَفوِه، ولا طابتِ الجنَّةُ إلَّا برُؤيتِه[٤].

وقال بعضُهم: لو أنَّ اللهَ احتجبَ عن أهلِ الجنَّةِ، لاستغاثَ أهلُ الجنَّةِ مِن الجنَّةِ كما يَستغيثُ أهلُ النَّارِ مِن النَّارِ[٥].

كان بعضُ العابدينَ[٦] يقولُ: ليت ربِّي جعلَ ثَوابي مِن عمَلِي نظرةً إليه، ثمَّ يقولُ: كُن تُراباً[٧].

وكان عليُّ بنُ الموفَّقِ يقولُ كثيراً: اللهمَّ إن كنت تعلَمُ أنِّي أعبدُكَ خَوْفاً مِن نارِكَ فعَذِّبني بها، وإن كنت تعلَمُ أنِّي إنَّما أعبُدكَ شَوْقاً إلى جنَّتِك فاحرِمْنيها، وإن كنتَ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٩٣).

(٢) في (س): «لو يعلم». أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٥٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٨٦٩)، والآجري في «الشريعة» (٥٧١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٦٤).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٧٢).

(٥) هذا من كلام أبي يزيد البسطامي رحمه الله، أخرجه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٤).

(٦) في (س): «العارفين».

(٧) ذكره المصنف في «استنشاق نسيم الأنس» منسوباً إلى نافع من عباد الجزيرة.

تعلمُ أنِّي إنَّما أعبدُكَ حبًّا لك وشَوْقاً إلى وجهِكَ الكريمِ فأبِحْنيهِ وافعَلْ بي ما شئتَ[١].

العارفونَ في شغلٍ عنِ الجنَّةِ، فكيفَ يَلتفِتونَ إلى الدُّنيا؟ وأنشدَ بعضُ العارفينَ في هذا المعنى:

يا حبيبَ القُلوبِ مَن لي سِواكا ... فارحَمِ اليومَ مُذنِباً قد أتاكَا

أنتَ سُؤلي ومُنيَتي وسُرُوري ... قد أبى القَلبُ أن يُحِبَّ سِواكَا

أنتَ مُرادي وسيِّدي واعتِمادِي ... طالَ شَوْقي متَى يكونُ لِقاكَا

ليسَ سُؤْلي مِن الجنانِ نَعيماً ... غيرَ أنِّي أريدُها لأَراكَا[٢]

وأمَّا الشَّوقُ إلى لقاءِ اللهِ في الدُّنيا، فهو أعظمُ لذَّةٍ تحصلُ للعارفينَ في الدُّنيا، فمَن أنِسَ باللهِ في الدُّنيا واشتاقَ إلى لقائِه فقد فازَ بأعظَمِ لذَّةٍ يُمكِنُ البشرَ الوصولُ[٣] إليها في هذهِ الدَّارِ.

كان أبو الدَّرداءِ يقولُ: أحبُّ الموتَ اشتِياقاً إلى ربِّي عزَّ وجَلَّ[٤].

قال أبو عِنَبَةَ الخَوْلانيُّ: كان إخوانُكم لقاءُ اللهِ أحبُّ إليهِم مِن الشَّهْدِ[٥].

---

(١) في (س): «عبدتك» بدلًا من «أعبدك» في المواضع الثلاث، وفي (س): «واصنع بي ما شئت».
أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٧)، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥٠٣).
وذكره المصنف في «شرح حديث زيد بن ثابت: لبيك اللهم لبيك» وقال عقبه: «لما غلب الشوق على قلوب المحبين استروحوا إلى مثل هذه الكلمات وما تخفي صدورهم أكبر».

(٢) مما سمعه محمد بن المبارك الصوري من عباس المجنون رحمهما الله في جبل لبنان. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٤٥).

(٣) في (ك): «لذة تحصل للعارفين ويمكن البشر» وفي (ف): «من الوصول».

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٨١١)، وأبو داود في «الزهد» (٢٣٧) وغيرهما.

(٥) «عِنَبة»: تصحف إلى عتبة في النسخ، وهو صحابي رضي الله عنه. والأثر أخرجه ابن المبارك في =

وكان بعضُهم يقولُ: إذا ذكَرْتُ القُدومَ على اللهِ كنتُ أشَدَّ اشتِياقاً إلى الموتِ مِن الظَّمآنِ الشَّديدِ ظمؤُه، في اليومِ الحارِّ الشَّديدِ حَرُّه، إلى الشَّرابِ الباردِ الشَّديدِ بَرْدُه[١].

كانت رابعةُ تقولُ: قد طالتْ عليَّ الأيَّامُ واللَّيالي بالشَّوقِ إلى لقاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ[٢].

وبقيَ فتحُ بن شُخْرُف ثلاثينَ سنةً لم يرفَع رأسَه إلى السَّماءِ، ثم رفع رأسه إلى السماء[٣]، وقالَ: طالَ شَوقي إليك فعَجِّلْ قُدومِي عليكَ[٤].

قالَ بعضُهم: اخدُموه شَوقاً إلى لقائِه، فإنَّ له يوماً يتجلَّى فيه لأوليائِه[٥].

وأهلُ الشَّوقِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، على طبقتين:

أحدُهما: مَن يُفضي بهم الشَّوقُ إلى القلقِ والأرَقِ، ويقلُّ صَبرُهم عن طلبِ اللِّقا.

كان أبو عُبيدة الخوَّاصُ يَمشي في الأسواقِ، ويضربُ على صَدرِه، ويقولُ: واشوقاهُ إلى مَن يَراني ولا أراهُ[٦].

= «الزهد» (٥٢٤)، وفي «الجهاد» (١٢٨).

(١) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله. وقد ذكره في «لطائف المعارف» (ص: ٥١١)، وفي «شرح حديث لبيك اللهم لبيك».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٩٣) في سياق قصة.

(٣) هذه الجملة من (س) وحدها، وسقطت من (ت) و(ف).

(٤) ذكر هذا الأثر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥١١).

(٥) أخرجه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٩٩) من كلام عابدة في بيت المقدس و(١٠/ ٢٢٧) من كلام عابد بجبلِ اللُّكَام ـ أحد الجبال في ناحية الشام ـ.

(٦) أخرجه الخلدي في «المحبة» (٢٥٨).

وعن إبراهيمَ بنِ أدهمَ أنَّه قالَ يوماً: اللهمَّ إن كنت أعطيتَ أحداً مِن المُحبِّينَ ما سكَّنْتَ بهِ قُلوبَهم قبلَ لقائِكَ فأعطِني ذلك، فلقَد أضرَّ بي القلَقُ، قال: فنِمتُ فرَأيتُه تعالى في النَّومِ، فوقفَني بين يديهِ وقالَ: يا إبراهيمُ! أما استحييتَ مِنِّي تَسألُني أن أعطيَكَ ما يَسكُنُ به قلبُكَ قبلَ لقائِي، وهل يسكُنُ قلبُ المشتاقِ إلى غيرِ حَبيبِه؟ أم يستريحُ المُحبُّ إلى غيرِ مَن اشتاقَ إليه؟ فقلتَ: يا ربِّ تهتُ في حبِّكَ، فلَم أدرِ ما أقولُ[1].

أَنَّ مِن الشَّوقِ فلولا دَمعُه ... أحرَقَ ما بينَ العُذيبِ والنَّقا

واسْتعرَتْ أنفاسُه وإنَّما[2] ... تلهبُ الأنفاسُ مِن حرِّ الجَوى

مُرُّوا على وادي الغَضا فقَلَّبوا ... مِن الجَوى قَلبي على جمرِ الغَضى[3]

الطَّبقةُ الثَّانيةُ: مَن أعطاهُ اللهُ بعد بلوغِه إلى درجةِ الشَّوقِ إليه الأنسَ به والطُّمأنينةَ إليه، فسكنتْ قلوبُهم بما كشفَ لها مِن آثارِ قُربِه ومُشاهدتِه، ووجَدوا لذَّةَ الأُنسِ به في الذِّكرِ والطَّاعةِ، وصارَ عيشُهم مع اللهِ في نعيمٍ سَرمديٍّ، وطابَ لهم السَّيرُ إليه في الدُّنيا بالطَّاعاتِ، وهذه كانت حالُ نبيِّنا محمد ﷺ وأصحابِه، وهي حالُ كثيرٍ مِن العارفينَ كأبي سُلَيمانَ، وأحمدَ بنِ أبي الحواريِّ، وذي النُّونِ، والجُنَيدِ وغيرِهم.

---

(١) أخرجه السراج القارئ في «مصارع العشاق» (١/ ٢٧٨).

وفي حاشية (ف): «تتمة من «الإحياء»: فاغفر لي وعلمني ما أقول، فقال: قل: اللهم رضّني بقضائك، وصبّرني على بلائك، وأوزعني شكر نعمائك، فإذاً هذا الشوق يسكن في الآخرة».

(٢) سقطت الواو من (ت) و(ف)، وألحقت كاف قبلها في (ف).

(٣) لم أجد الأبيات عند غير المصنف رحمه الله، وقد أوردها أيضاً في «استنشاق نسيم الأنس».

وسُئِلَ الشِّبليُّ: بماذا تستريحُ قلوبُ المحبِّينَ والمُشتاقينَ؟ فقالَ إلى سرورهم: بمَن أحبُّوهُ واشتاقوا إليهِ[١].

فهؤلاء كلَّما أقلقَهُم الشَّوقُ سكَّنَهم الأنسُ والقُربُ والمُشاهدَةُ، كما كانَ ﷺ إذا ذُكِرَ له تركُه الطَّعامَ والشَّرابَ واجتهادُه في الطَّاعاتِ في الصِّيامِ يقولُ: «إنِّي أظلُّ عند ربِّي يُطعِمُني ويسقيني»[٢].

ساكنٌ في القلبِ يَعمُرُه ... لستُ أنساهُ فأَذكُرُهُ

غابَ عن سَمعي وعن بَصَرِي ... فسُوَيدَا القَلبِ تبصِرُهُ[٣]

قلوبُ المُحبِّينَ كالجمرةِ[٤] تحت فَحمةِ اللَّيلِ، فإذا هبَّ عليها نسيمُ السَّحَرِ التهبَتْ بالأشواقِ، فلولا أن يُرَشَّ عليها مِن ماءِ العُيونِ وتعدَّلَ ببُرودةِ الذِّكرِ لَسرَى الحريقُ إلى أجسادِها.

كان داودُ الطَّائيُّ يُنادي باللَّيلِ: همُّكَ عطَّلَ عليَّ الهُمومَ، وحالفَ بيني وبين السُّهادِ، وشوقي إلى النَّظرِ إليك أوثَقَ مِنِّي اللذَّاتِ، وحالَ بيني وبين الشَّهَواتِ، فأنا في سِجنِك أيُّها الكريمُ مَطلوبٌ، ثمَّ يترنَّمُ بالآية فيُخيَّلُ لِمَن سَمِعَه أنَّ جميعَ لذَّاتِ الدُّنيا ونعيمِها جُمِعَ له في تَرنُّمِه[٥].

---

(١) «إلى سرورهم» من (س) وسقطت من (ت) و(ف).
أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٥٦٣).

(٢) أخرجه البخاري عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم أنس (٧٢٤١) وهو عند مسلم (١١٠٤)، والسيدة عائشة عند البخاري (١٩٦٤)، وهو عند مسلم (١١٠٥).

(٣) في (ت) و(ف): «يبصره»، وفي (س): «تذكره». ذكر نحو هذين البيتين عن الجنيد، القشيري في «الرسالة» (٢/ ٤٧٢)، وذكره ابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٦٢).

(٤) في (س): «أرواح المحبين جمرة».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٥٦). ووقع في (ت) و(ف) «أوبق مني اللذات».

أَحِبَّايَ أَمَّا جفنُ عيني فمَقروحُ ... وأَمَّا فؤادِي فهْوَ بالشَّوقِ مَجروحُ
يُذَكِّرُني مرُّ النَّسيمِ عُهودَكُم ... فأَزدادُ شَوْقاً كلَّما هبَّتِ الرِّيحُ
أَرَاني إذا ما أظلمَ اللَّيلُ أشرَقَتْ ... بقَلبِيَ مِن نارِ الغَرامِ مَصابيحُ
أُصَلِّي بذِكراكُمْ إذا كنتُ خالياً ... أَلَا إنَّ تذكارَ الأحبَّةِ تَسبيحُ
يشِحُّ فؤادِي أن يُخامِرَ سِرَّهُ ... سِواكُم وبعضُ الشُّحِ في المَرْءِ ممْدُوحُ
وإن لاحَ برقٌ بالغُوَيرِ تقطَّعَ الـ ... ـفُؤادُ على وادٍ به البانُ والشِّيحُ [1]

* * *

قولُه ﷺ: «اللهمَّ زيِّنَّا بزِينةِ الإيمانِ، واجعَلْنا هُداةً مَهديِّينَ»:

أمَّا زينةُ الإيمانِ: فالإيمانُ قولٌ وعمَلٌ ونيَّةٌ، فزينةُ الإيمانِ تشمَلُ زينةَ القلبِ بتَحقيقِ الإيمانِ، وزينةَ اللِّسانِ بأقوالِ الإيمانِ، وزينةَ الجَوارحِ بأعمالِ الإيمانِ، وقد سمَّى اللهُ التَّقوى لِباسًا، وأخبرَ أنَّها خيرٌ مِن لباسِ الأبدانِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال وهبٌ: أوحى اللهُ إلى عيسى بنِ مريمَ عليهِ السَّلامُ: يا عيسى! تزيَّنْ لي بالدِّين وأحِبَّ المساكينَ[2].

وعنه: أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا بعثَ موسى وهارونَ عليهما السلام قال لهم: إنَّما

---

(١) الأبيات في «المدهش» لابن الجوزي (ص: ٥٠٢) إلا البيت الأخير، وقد ذكره المصنف في مقدمة «استنشاق نسيم الأنس». وفي (س): «يشح فؤادي أن يَسْكن سرَّه».

(٢) في (س): «وهب بن منبه»، وفي (ف): «تزيّن لي بالدنيا»!! وهي غير واضحة في تصوير (ت)، والمثبت من (س).

والأثر لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

يَتزيَّنُ لي أوليائي بالذِّكرِ والخُشوعِ والخَوفِ والتَّقوَى، تنبُتُ[١] في قُلوبِهم فتظهرُ على أجسادِهم، فهي ثيابُهم التي يلبسونَ، ودِثارُهم الذي يظهرونَ، وضَميرُهم الذي يَستشعِرُونَ، ونَجاتُهم التي بها يَفوزونَ، ورَجاؤُهم الذي إيَّاهُ يأمُلونَ، ومَجدُهم الذي بهِ يَفتخِرُونَ، وسِيماهُم التي بها يُعرَفونَ[٢].

وقال الحسَنُ في قولِه ﷺ: «إنَّ اللهَ جميلٌ يحِبُّ الجمالَ» قال: يحبُ أن يتجمَّلَ له بالطَّاعةِ[٣].

وعنه قالَ: لباسُ المؤمنِ التَّقوَى وزِينَتُه الحَياءُ[٤].

فالزِّينةُ النَّافعةُ الدَّائمةُ البَاقيةُ هي زينةُ الإيمانِ والتَّقوى إذا شَمِلت القلبَ والجوارحَ، فإن أظهرَ التَّزيُّنَ بذلك ظاهِراً وقلبُه فارغٌ عادَ ذلك عليه شَيْناً.

قالَ بعضُهُم: مِن تَزيَّنَ للنَّاسِ بما يعلَمُ اللهُ مِنه خلافَه شانَه اللهُ عزَّ وجلَّ[٥].

وقالَ بعضُهم لِمَن أظهرَ التَّزيُّنَ بالعلمِ مِن غيرِ عمَلٍ بهِ: تزيَّنوا بما شِئتُم فلن يزيدَكُم اللهُ إلَّا اتضاعاً[٦].

---

(١) في (س): «يثبت».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١١٥)، و«ذم الدنيا» (١١٧)، و«التواضع والخمول» (٩)، و«الزهد» (٦٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١١).

(٣) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود. ولم أظفر بقول الحسن رحمه الله.

(٤) «عنه»: أي وهب ابن منبه. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٣٨٣)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٩٧) بنحوه.

(٥) روي مرفوعاً وموقوفاً ومقطوعاً.

أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٤٣٦) بنحوه من كلام عمر رضي الله عنه.

(٦) من كلام سفيان وقد نظر إلى رجل وفي يده دفتر.

ذكره أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٣٩).

=

وقالَ بعضُهم: لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يتزيَّنَ الرَّجلُ بالعِلمِ كما يتزيَّنُ الرَّجلُ بثَوبِه[١]، يعني: يُظهِرُ[٢] للنَّاسِ تَزيُّناً به عندَهم مِن غيرِ أن يُزَيِّنَ قلبَه[٣] وجوارحَه بالعمَلِ بهِ.

وكان الفُضَيلُ يقولُ: تزيَّنتَ لهم بالصُّوفِ فلم ترَهُم يرفعون بكَ رأساً، تزيَّنْتَ لهم بالقُرآنِ ولم تزَلْ تتزيَّنُ لهم بشيءٍ بعد شيءٍ كلُّ ذلك لحُبِّ الدُّنيا[٤]. ومرادُه توبيخُ مَن يُزيِّنُ ظاهرَهُ بالأعمالِ وباطنُه خالٍ منها، ومَن زيَّنَ للهِ جوارحَه بالأعمالِ وقلبَه بحَقيقةِ الإيمانِ زيَّنَه اللهُ في الدُّنيا والآخرةِ، كما في الحديثِ: «إنَّ اللهَ تعالى لا يَنظُرُ إلى صُوَرِكُم وأَموالِكُم، وإنَّما يَنظُرُ إلى قُلوبِكُم وأَعمالِكُم»[٥]، فمَن عَلِمَ اللهُ مِن قلبِه الصِّدقَ زيَّنَه اللهُ عندَ عبادِه، وبالعكسِ.

وما أحسنَ قولَ أبي العتاهيةِ:

إذا المرءُ لم يَلبَسْ ثِياباً مِن التُّقَى ... تقلَّبَ عُرياناً وإن كان كاسِياً[٦]

* * *

= ونقل أيضاً عن يوسف بن أسباط أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٧٠).

وتصحفت «اتضاعاً» في (ت) و(ف) إلى: «إيضاعاً».

(١) لم أجده عنه غير المصنف رحمه الله.

(٢) في (س): «يظهره».

(٣) في (س): «يتزين قلبُه».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) «ديوان أبي العتاهية» (ص: ٣٠١).

وقولُه ﷺ: «واجعَلْنا هُداةً مُهتَدين»:

يعني نهدي[١] غيرَنا ونهتَدِي في أنفُسِنا، وهذه أفضلُ الدَّرجاتِ أن يكون العبدُ هادِياً مَهدِيًّا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقالَ ﷺ: «لَأن يهدِيَ اللهُ بكَ رجُلاً واحِداً أحبُّ إليك[٢] مِن حُمرِ النَّعَم»[٣].

وقال: «مَن دعا إلى هُدًى كان له مثلُ أجرِ مَن تبعَه مِن غيرِ أن ينقصَ مِن أجورِهم شيءٌ»[٤].

ويدخلُ فيمن دعَا إلى الهُدى: مَن دعا إلى التَّوحيدِ مِن الشِّركِ، وإلى السُّنَّةِ مِن البِدعةِ، وإلى العلمِ مِن الجَهلِ، وإلى الطَّاعةِ مِن المعصِيَةِ، وإلى اليَقظةِ مِن الغَفلةِ، فمَنِ استُجِيبَ له إلى شيءٍ مِن هذهِ الدَّعواتِ فله مثلُ أجرِ مَن اتَّبعَه.

أفضلُ الصَّدَقةِ: تعليمُ جاهلٍ أو[٥] إيقاظُ غافلٍ.

ما وُصِلَ المُستثقِلُ[٦] في نومِ الغَفْلةِ بأفضلَ مِن ضربِه بسياطِ الموعظةِ ليَستيقِظَ.

المواعظُ كالسِّياطِ تقَعُ على نِياطِ القُلوبِ، فمَن آلَمَتْه فصاحَ فلا جُناحَ، ومَن زادَ بها ألَمُه فماتَ فدَمُه مُبَاحٌ[٧]:

---

(١) في (ف): «فنهدي».

(٢) هكذا في (ت) و(ف) وفي (س): «خير لك».

(٣) أخرجه بلفظ «خير لك»: البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٤) في (س): «شيئاً». أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله، (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في (س): «و».

(٦) في (س): «ما وصَلَ إلى المستثقلِ».

(٧) ذكر هذا المصنف أيضاً في «لطائف المعارف» (ص: ٥١).

قضَى اللهُ في القَتْلى قِصاصَ دِمائِهم ولكنْ دماءُ العاشِقينَ تُباحُ [١]

وعظَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ يوماً فصاحَ به رجُلٌ: يا أبا عُبيدةَ! كفَّ فقد كشَفَتِ الموعِظةُ قِناعَ قلبي، فتمادى عبدُ الواحدِ في وَعظِه فماتَ الرَّجُلُ[٢].

صاحَ رجلٌ في حلقةِ الشِّبليِّ فماتَ، فاسْتَعدى أهلُه على الشِّبليِّ فقالَ: نفسٌ رنَّتْ فحنَّتْ، فدُعِيَت فأجابَتْ، فما ذنبُ الشِّبليِّ[٣]؟

فكَّرَ في أفعاله[٤] ثمَّ صاحْ لا خيرَ في الحُبِّ بغيرِ افتِضاحْ

قد جِئتكُم مُستأمِناً فارحَمُوا لا تقتُلوني قد رَمَيتُ السِّلاحْ[٥]

وعظَ أبو عامرٍ الواعظُ بالمدينةِ رجُلًا وولَدَه، فأخذَ وَعظُه فيهما فماتا، قال أبو عامرٍ: فما زِلتُ جزِعاً ممَّا جنَيْتُ عليهِما، حتَّى رأيتُهما في المنامِ عليهما حُلَّتانِ خَضراوتانِ، فقلتُ لهما: مرحباً بكما وأهلاً، فما زلتُ حَذِراً مِن وَعظي لكما فما صنَعَ اللهُ بكما؟ فقالَ الشَّيخُ:

---

(١) أنشده ابن عساكر (٦٦/ ٧٥) للشبلي رحمه الله وآخره: «دماء العاشقين جُبار».

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٥٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦/ ٦١) في قصة أطول من هذا.

والرنين: الصوت. وفي مطبوع «تاريخ دمشق»: «جنَّت فرنَّت» والصواب بالحاء في الكلمة الأولى، وهذا السياق أنسب مما أورده المصنف رحمه الله.

(٤) في (ف): «أفعالهم».

(٥) ذكر البيتين ابن الجوزي في أول كتاب «المنثور».

أنـت شَـريكِي فـي الـذي نِلتُه ... مـستـأهـلاً ذاك أبـا عامـرِ

وكلُّ مَـن أيقـظَ ذا غَفلـةٍ ... فنِصـفُ مـا يُعطـاهُ للآمـرِ

مَـن ردَّ عَبْـداً آبِقـاً مُذنِبـاً ... كان كمَـنْ راقـبَ للقاهِـرِ

واجتَمَعـا فـي دارِ عَـدنٍ وفي ... جِـوارِ ربٍّ سـيِّدٍ غافِـرِ[1]

آخرُه، واللهُ أعلَمُ بالصَّوابِ.

والحمدُ للهِ وحدَه، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِه وصَحبِه وسلَّمَ[2].

* * *

(١) أصل القصة في «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٠/ ١٨٦)، وأوردها بأطول من ذلك: ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٤٠٦).

(٢) في (ت): «والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً يا رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإليه المصير».

وفي الحاشية: «بلغ مقابلة حسب الطاقة بحمد الله تعالى وعونه».

وفي (ر): «آخر الكلام على حديث عمار. والحمد لله العزيز الغفار. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي المختار. وعلى آله وأصحابه الطيبين الأخيار. غفر الله لمؤلفه وكاتبه وقارئه وسامعه. آمين.

ونقلته من خط الشيخ الجليل الفاضل النبيل أبي عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن سليم كتبه سنة ١٢٦٧ رحمة الله علينا وعليه آمين.